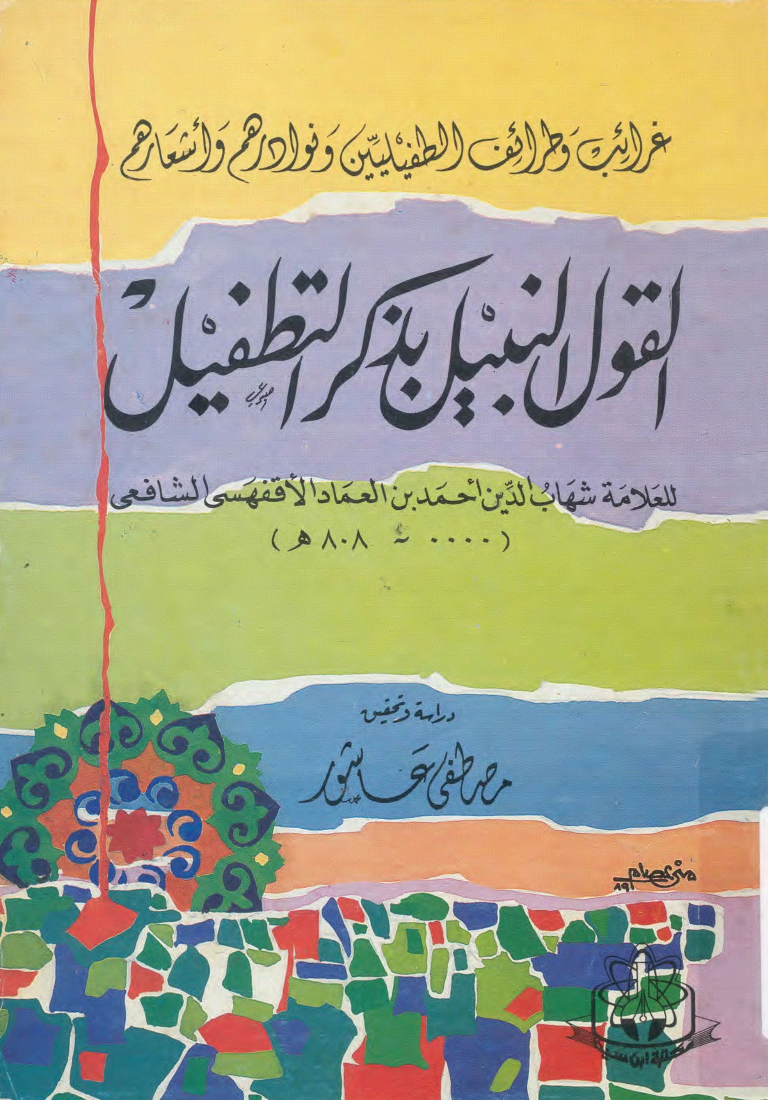

غرائب وطرائف الطفيليين ونوادرهم وأشعارهم
القول النبيل بذكر التطفيل
للعلامة شهاب الدين أحمد بن العماد الأقفهسي الشافعي
(.... - ٨٠٨ هـ)
دراسة وتحقيق
مصطفى عاشور

غرائب وطرائف الطفيليين ونوادرهم وأشعارهم

القول النبيل بذكر التطفيل

للعلامة شهاب الدين أحمد بن العماد الأقفهسي الشافعي
(.... - ٨٠٨ هـ)

دراسة وتحقيق
مصطفى عاشور

مكتبة ابن سينا
للنشر والتوزيع والتصدير
٧٦ شارع محمد فريد - جامع الفتح - النزهة
مصر الجديدة القاهرة ت ٢٤٧٩٨٦٣ / ٢٤٨٠٤٨٣



تقـديم

رحم الله السابقين الأولين من المؤلفين حيث أتاحوا لنا معايشة طائفة كانت ترصد الموائد والطعوم كما يرصد الفلكيون الكواكب والنجوم .

وإذا كانت الفاكهة ضرورية بين ألوان الطعام ، فإن الفكاهة لون لا يُستَغنى عنه بين ألوان العلم والتاريخ والأدب .

و « **التّطْفِيل** » و « **الطفيليون** » ظاهرة جذبت انتباه عمالقة التأليف من أمثال : الجاحظ ، وابن عبد ربه ، والخطيب البغدادى ، وابن قتيبة ، وبديع الزمان الهمذانى ، فراحوا يفردون لها أبوابا فى أمهات كتبهم ومؤلفاتهم ، يقدمون فيها طائفة من النوادر الطريفة ويستخلصون منها العبرة ، وينقلوننا من العلم إلى الأدب إلى الفكاهة ، إلى الفلسفة ، ثم إلى الحياة المرحة حياة « التطفيل » وكيف لا ، وصورة « الطفيلى » — وقد دعا نفسه إلى الطعام دون أن توجّه إليه دعوة — ماتزال تبعث فى النفس ألوانا من السخرية والضحك والمرح والتفكه ؟!

وما أشد حاجتنا اليوم إلى لحظات استجمام من ضغوط الحياة ، وشتى ألوان المعاناة !

ولم تزل أفاضل الناس وأكابرهم تعجبهم المُلَح ، ويؤثرون سماعها ، ويَهَشُّون إلى المذاكرة بها ، وما ذاك إلا لأنها جِمامُ النفس ، ومُستراح القلب ، وإليها تُصغى الأسماع عند المحادثة ، وبها يكون الاستمتاع فى المؤانسة .

وما أصدق ما قاله الأصمعى :

« النوادر تشحذ الأذهان ، وتفتح الآذان ! »

وإنك لواجد فى هذا الكتاب عرضاً جديداً لأخبار الطفيليين ، وأول من سمى به فى ماضى السنين إلى غير ذلك من نوادر فائقة ، وأشعار رائقة .

إنه رحلة إلى عالم ملئ بالأخبار والأسرار ، تتابع فيه الطفيليين من دار إلى دار ، وهم يَتَشمّمون هنا وهناك رائحة القُتار ، لا يهدأ لهم بال ، ولا يستقر لهم قرار !!

وأملى أن أكون قد وفقت فيما اخترت ، وأحسنت فيما عرضت !

والله ولى التوفيق .



أولاً : المؤلف

أحمد بن عماد بن محمد بن يوسف الأقفهسى، ثم القاهرى ، الشافعى ، ويعرف بابن العماد شهاب الدين أبو العباس . فقيه مشارك فى بعض العلوم .

ولد قبل ٧٥٠ هجرية ، وتوفى فى إحدى الجمادين . صنف التصانيف نظما ونثرا منها :

١ ـــ كشف الأسرار عما خفى على الأفكار .
٢ ـــ عدة شروح على «**منهاج العارفين**» فى فروع الفقه الشافعى .
٣ ـــ نظم الدرر من هجرة خير البشر وشرحها .
٤ ـــ آداب الطعام .
٥ ـــ أحكام الحكم فى شرح الحكم العطائية .
٦ ـــ توقيف الحكام على غوامض الأحكام .
٧ ـــ السر المستبان مما أودعه الله من الخواص فى أجزاء الحيوان
٨ ـــ التبيان فى آداب حملة القرآن «منظومة» .
٩ ـــ «نيل مصر ـــ خ» فى مكتبة الحرم المكى .
١٠ ـــ «الذريعة فى أعداد الشريعة ـــ خ» .

نسبته إلى أقفهس من عمل البهنسا بمصر .



ثانياً : الكتاب

أخبار التطفيل والطفيليين نجدها متناثرة فى كتب التراث ، فلا يكاد يخلو كتاب من طرائفهم ونوادرهم .

ولقد تصدى الخطيب البغدادى للتطفيل وحكايات الطفيليين ، وأخبارهم ، ونوادرهم ، وأشعارهم فى القرن الخامس الهجرى على طريقته من ذكر السند وإن طال — مما قد يدفع بالقارىء إلى الملل فى سبيل الوصول إلى النادرة .

ولكن جاء بعده «**العماد الأقفهسى**» فى القرن الثامن الهجرى وبداية التاسع فقدم لنا هذا العرض الجميل و «**القول النبيل بذكر التطفيل**» ! مستفيداً من خبرة الحافظ المؤرخ البغدادى ، وابن عبد ربه ، والجاحظ وابن قتيبة ، فأحسن العرض ، وأجاد التأليف ، وجاء على الصورة التى تُسهم فى متعة القارىء دون إملال ، أو إخلال !

لقد جرد النص ما استطاع من أسانيده رعاية لطبيعة الموضوع ، وحرصا على جذب انتباه القارئين ، وقدمه فى أربعة وعشرين بابا حلق فيها حول كل ما تناولته كتب السابقين ، وما يدور بخلد اللاحقين فى موضوع التطفيل ، فأجاد وأفاد ، وأقنع وأمتع ، وأحسن وأبدع !

من حق الإنسان ، وقد طحنته الحروب ، وشغلته مشكلات الحياة أن يستروح بشىء من التفكيه ، لتكون الراحة لذلك الجد جماماً .

وما علينا من حرج فى أن نرفه به أنفسنا ، ونسلى عنها لنعود إلى ما كنا فيه من جد وعمل !

وأحاديث التطفيل والمتطفلين باب من أبواب أدبنا العربى ولقد ذكر العرب الأشياء بأسمائها :

فمن يتعرض لطعام الناس من غير أن يدعى إليه فهو «**الطفيلى**» .

أما الداخل فى شرابهم من غير دعوة كذلك فيدعى «**الواغل**» .

ومثلها «**الدّعِيّ**» وهو الداخل فى نسب القوم وليس منهم والطفيليون نسبة إلى رجل يدعى «**طفيل العرائس**» ولقد زعموا أنه أولهم فإليه كانت نسبتهم .

وأكبر الظن على أن التطفيل قديم جدا قدم الشرَهِ فى الإنسان ، وهوان نفسه عليه ، وتطلعه إلى ما ليس له ، ولو كان طعاما ، وتهافته عليه مُشَايَعةً لشهوة البطن مهما ناله فى ذلك من مكروه أدبى أو مادى .

وربما كان عقد لواء الأولية فى هذا الباب لـ «طفيل العرائس» لأنه أول من شرع آدابه ، واستفتح بلطف الحيلة أبوابَه ، وقَعّد قواعده ، وأصّل أصوله ، وفرع فروعه ، وفصل فصوله ، ومن روائع حكمه ، وجوامع كلمه ما قال يوصى به صحبه :

«إذا دخل أحدكم عُرسا فلا يتلفت تلفت المريب ، ويتخير المجالس ، وإذا كان العرس كثير الزحام فليمعن ، ولا ينظر فى عيون الناس ليظن أهل المرأة أنه من أهل الرجل ، ويظن أهل الرجل أنه من أهل المرأة .

فإذا كان البواب غليظا وَقَاحاً فليبدأ به ويأمره وينهاه من غير أن يعنف عليه ، ولكن بين النصيحة والإدلال»

وسوف يجد القارىء أن التطفيل قديم ، ولكن أساليبه تتشكل وتتلون فى كل عصر وفى كل إقليم طوعا لما يجرى من العرف والعادة وغير ذلك من الأسباب .

والسمة الغالبة على أهله هى : الشره ، وحدة الوجه ، ولؤم النفس ، وهوانها على صاحبها وعلى الناس فما يدفع إلى التطفيل إلا هذه الخلال .

أما الصفات التى يحتاج إليها الطفيلى وتعد أهم وسائله : فهى خفة الروح فإن أعوزته فالتظرف بالقدر المستطاع ، وسعة الحيلة ولطف المدخل ، وحسن السمت ، ونظافة الثوب ، وحضور الذهن ، وبراعة النكتة ، فإذا اجتمع إلى هذا وذاك إلمام بالأدب وبالسير ، وإذا ضمت إليهما القدرة على ارتجال الشعر ما دعت مناسبات الطعام فذلكِ والله الطفيلى التام !

وإذا كان أدبنا العربى قد جلا على الناس كل ما فى هذا العالم من جميل وبديع فى ظواهر الأشياء وبواطنها ؛ فإنه ربما مال إلى القبيح فى ظاهره وباطنه معا فسوى منه

صورا لها جمالها ولطفها فى باب التمليح والتفكيه !

أليس البخل فى الناس قبيحا جدا ، ومع هذا يأبى الأدب إلا أن يجعل من البخل والبخلاء بابا من أوسع أبوابه ، وأبلغها فى إعجابه وإطرابه !

والتطفيل ولاشك أقبح من البخل وأكره وأرذل ، ومع هذا نال حظه من الأدب .

وسوف نتوقف عند نوادر الطفيليين ، وربما يبدو أن بعضها ليس إلا حديثا مصنوعا ، لسعة خيال الرواة ، ولكنها على أى حال تعطينا صورة لمهنة التطفيل ، ومهارة أصحابه فيه .

أليس رائعا وجميلا أن تعيش مع طائفة من ملحهم ونوادرهم ، وما قيل فيهم ، وما قالوه فى أنفسهم ، وردودهم على من عاب عليهم تطفيلهم ، ولطف احتجاجهم لاقتحامهم على الناس موائدهم ، وتهافتهم على طعامهم من غير دعوة إليه ، وتعرضهم فى هذا لألوان المكروه من الشتم والسب والطرد والضرب .

وقد ظل الطفيليون المحترفون يمارسون وجودهم حتى الجيل الماضى ، ثم خلا وجه البلاد منهم بذهاب العادة التى كانت شائعة فى بلادنا إلى وقت قريب ، وهى إقامة الأعراس (الأفراح) وما إليها مما كان المصريون يتنافسون فيه ، ويتكاثرون به فى المناسبات المختلفة من نحو العودة من الحج ، وختان الولد ، وولادة البكر من البنين وغير ذلك .

ولقد كان الطعام يقدم على أخونة «الصوانى» يرص حول كل منها من نحو ثمانية إلى اثنى عشر .

وتختلف ألوانها باختلاف درجات المدعويين وأفخرها مايصدر بالحمل (القوزى) أو الديك الرومى .

ويسلك فيه الحمام والفراريج تطهى على أشكال . وتقرب «المسبكات» من ألوان الخضر .

ويستكثر من صنوف الحلوى .

ويخص أخيرا بالفاكهة . ودون هذا ما يُصَدّر بالضلع .. ـــ!

وهكذا إلى أن تقتصر مطالع الموائد على القطعة من اللحم لا يملأ نصيب الآكل منها الكف .

وهذه الموائد تعد لعامة الناس !

والطفيلي لايقنع بالوجبة على المائدة ، بل يدس فى جيبه كل ما تيسر له من اللحم ، والمحاشى ، والحلوى ، والفاكهة ، يحمل ذلك كله معه طمعا وجشعا وتحسبا ليوم لا موائد فيه !

كل ذلك تجده فى «**القول النبيل بذكر التطفيل**» ولقد حاولت جهدى أن أحسن عرضه ، وأجلو غامضه ، وأقدمه للقارىء فى أجمل صورة راجيا أن أكون قد وفقت فيما قصدت ، وأن تستمتع بالقول النبيل بذكر التطفيل .

مخطوطات الكتاب

مدى علمنا أن هذا الكتاب لم يسبق طبعه ، وليس هناك ما يمكن الاعتماد عليه غير التطفيل للحافظ المؤرخ الخطيب البغدادى

والكتاب له مخطوطتان تكادان تشتركان فى الملامح والصفات الجوهرية مما يوحى بأن إحداهما اعتمدت على الأخرى أما المخطوطة الأولى فرقم ٩٦٠ أدب تيمور على ميكروفيلم رقم ٢٣٦٠ .

عدد الصفحات : ٤٣ عدد السطور بكل صفحة ٣٢ سطرا

المخطوط بخط جيد ومقروء ، وروعيت فيه بعض علامات الإعراب

أما المخطوطة الثانية

فتحت رقم ١٩٤/ الزكية

عدد الصفحات ٦٩ عدد السطور بكل صفحة ٢١ سطرا

مصطفى عاشور

القاهرة فى جمادى الأولى ١٤٠٩هـ
يناير ١٩٨٩م

كتاب القول النبيل بذكر التطفيل

الصفحة الأولى من المخطوطة

مقدمة المؤلف

الحمد لله ، الكريم المنان ، الواحد الفرد ، ذى الجود والإحسان !

وأشهد أن لا إله إلا الله ، وحده لا شريك له ، مالك الملك الدَّيان ، الذى ميزّ بين عباده ، وخصّ من شاء منهم بوافر البُرهان .

وأشهد أن سيدنا ومولانا محمداً عبده ورسوله ، الذى خصّ أمته بمزيد الغُفران .

صلى الله عليه ، وعلى آله وصَحْبه ، وشيعته ، ووارثيه[1] وحِزْبه ، ما ترنحت أعطاف البان[2] ، وتمايلت عرائس غرائس[3] الرياض ، برياح البُكروالآصال[4] فى كل زمان ، وسَلِّم تسليما كثيرا .

وبعـــد ..

فهذا كتاب ظريف ، محتوٍ على معنى لطيف جمعته فى : أخبار الطفيليين وأول من سمى به فى ماضى السنين إلى غير ذلك من نوادر فائقة ، وأشعار رائقة وسميته :

«القول النبيل بذكر التطفيل»

ورتبته على : «أربعة وعشرين بابا»

فأقول :

الباب الأول ـــ فى معنى التطفيل فى اللغة ، وأول من نسب إليه .

الباب الثانى ـــ فيمن كان يُسَمّى طُفَيْليًّا فى الجاهلية .

الباب الثالث ـــ فى الموائد وآدابها .

الباب الرابع ـــ فى الخبز والرقاق .

---

(١) وارثيه : وارثى سنته وشريعته ، من شيعته وأنصاره ، وآل بيته الأطهار . أما الميراث المادى فقد قال ﷺ : **«نحن معاشر الأنبياء لا نورث ، ما تركناه صدقة»** .

(٢) البان : شجر معتدل القوام ، يميل مع النسيم حيث يميل فى خفة ورشاقة وورقه كورق الصّفصاف ، ويشبه به الحسان فى الطول واللين .

والأعطاف : جمع عِطف . وعطف كل شئ جانبه . وترنحت : تمايلت ذات اليمين وذات الشمال .

(٣) الغرائس : الأشجار المغروسة . وعرائس الروض : أشجار الحدائق الجميلة التى تشبه العرائس فى جمالها وتمايلها .

(٤) البُكَر : جمع بُكرة : أول النهار والآصال : جمع أصيل . الوقت قبيل المغرب . والمراد : الصلاة على النبى فى كل وقت وحين .

الباب الخامس — فى اللحم بأنواعه **الباب السادس** — فى القدور والألوان .

الباب السابع — فى الحلوى بأنواعها .

الباب الثامن — فيمن دعى إلى الطعام ، فأراد أن يستصحب غيره .

وأن السنة استئذان الداعى له فى ذلك .

الباب التاسع — فيمن طَفَّل على عهد رسول الله ﷺ

الباب العاشر — فيمن حمد التطفيل ، واحتج لأهله ، وذكرهم بكل جميل .

الباب الحادى عشر — فى التغليظ على من أتى طعاما ، ولم يُدْعَ إليه .

الباب الثانى عشر — فيمن عرّض بالتطفيل ، ولم يصرح .

الباب الثالث عشر — فيمن أحبّ تطفيل غيره ، فسهل السبيل إليه .

الباب الرابع عشر — فيمن صرف إلى التطفيل همه ، وجعل ذلك صناعة وحرفة .

الباب الخامس عشر — فيمن منع من الدخول فاحتال وتسبب إلى الوصول .

الباب السادس عشر — فيمن طَفّلَ من الأشراف ، والأكابر ، وأهل العلم والأدب .

الباب السابع عشر — فى وصايا الطفيليين .

الباب الثامن عشر — فى أخبار «**بنان**» الطفيلى، وشأنه بالبصرة، وما حفظ عنه من رسوم التطفيل ، وحدوده ، وأحكامه .

الباب التاسع عشر — فى الضيافة والضيف .

الباب العشرون — فى القناعة .

الباب الحادى والعشرون — فيمن ذم التطفيل وأصحابه ، وهجابه غيره ، وعابه . **الباب الثانى والعشرون** — فى أشعار الطفيليين .

الباب الثالث والعشرون — فى غرر نوادر طعاميات .

الباب الرابع والعشرون — فى نكت الحكماء والأطباء فى الإقلال من الطعام .

وهو حسبى ونعم الوكيل ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم .

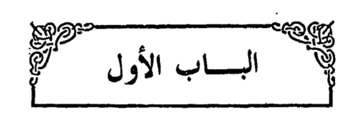
وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .



الباب الأول

فى معنى التطفيل فى اللغة ، وأول من نسب إليه

- من الطفيلى ؟
- وما رأى الأصْمَعِىّ فيه ؟
- وماذا قال عنه ابن قُتَيْبة ؟
- ومن الوارش ؟
- ومن الواغل ؟
- وأى فرق بينهما ؟
- ومن أولِ من طفّل ؟



الباب الأول

(فى معنى التطفيل فى اللغة ، وأول من نُسِب إليه)

من الطفيلى ؟

قال الأَصْمَعىّ[1] : إنّ الطُّفيلى : الداخل على القوم من غير أن يُدْعَى . مأخوذ من «الطَّفَل» : وهو إقبال الليل على النهار بظُلمته . وأراد : مَن أَمْرُه مُظْلم على القوم ؛ فلا يدرون من دعاه ، ولا كيف دخل عليهم ؟!

وقال الأصمعى أيضا : والذى يدخل إلى وليمة ، ولم يُدْعَ إليها يسمى «طُفَيْليًّا» .

وهو منسوب إلى «طُفيل» رجلٍ من أهل الكوفة من «بنى غَطَفَان»[2] وكان يأتى الولائم من غير أن يُدْعى إليها ، فكان يقال له : «طُفَيْلىّ الأعراس والعرائس» .

بم كانت العرب تسميه ؟

والعرب تسمى «الطُّفَيلى» : الوارش ، أو الرَّايش . والذى يدخل على القوم فى «شرابهم» ولم يُدْعَ إليه : «الواغِل» .

قال امرؤ القيس :

فاليـوم فاشـرب غير مُسْتَحْقِبٍ   إثـماً من الله ولا واغــل[3]

---

(١) من مشاهير لغويِّى العرب ، تعلم فى البصرة على الخليل ، وأبى عمرو بن العلاء ، وأخذ عن خلف الأحمر . حفظ لغة البدو . وعهد إليه هارون الرشيد بتعليم الأمين ، ولولاه لكنا فقدنا الكثير من دواوين العرب وأشعارهم .

(٢) غطفان ـــ محركة ـــ حىّ من قيس .

(٣) امرؤ القيس : هو ابن حُجْر بن عمرو الكِندى ويقال له : الملك الضِّلِّيل توفى سنة ٨٠ قبل الهجرة ، و ٥٦٥ للميلاد .

ومستحقِب : مدّخر وجامع . وقد ذكر هذا البيت فى لسان العرب ، وصحته : فاليوم أُسقى ـ واحتقب الإثم كأنه جمعه واحتقبه من خلفه .

الفرق بين الوارش والواغل :

وقال ابن قتيبة[1] :

ويقال للداخل على القوم وهم يَطْعمون : «الوارش»

والداخل على القوم وهم يشربون : «الواغِل» .

وقال ابن الأنبارى[2] :

والذى يدخل فى طعام القوم من غير أن يُدْعى إليه ، يقال له : الوارش ، والورروش .

والطفيلى : من كلام العامة نسبة إلى «طفيل العرائس» : رجل كان بالكوفة يحضر الولائم من غير أن يُدْعى إليها .

وقال أبو عبيدة[3] :

كان رجل من «بنى هلال» ينزل الحَفْر الذى يقال له الآن : «حَفْر أبى موسى» .

وكان «أبو موسى» أول من حفر فيه «ركية»[4] ؛ فنُسِب الحفر إليه .

وكان هذا المنزل منزلا من منازل العرب ، وكان رجل من «بنى هلال» ينزل يقال له : «طفيل بن زلاّل» ، فكان إذا سمع بقوم عندهم دعوة أتاهم ، فأكل من طعامهم ، فسمى الطُّفَيْلى طُفَيْلِيًّا به .

وقال الأصمعى :

أول من طَفّل «الطفيل بن زلاّل» . وقال :

أول من زلّ : أبوه ، فسمى الطفيلىّ به . والزّل[5] بأبيه .

---

(١) ابن قتيبة : أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينورى صاحب المؤلفات الفريدة ، ومنها «**عيون الأخبار**» (٢١٣ — ٢٧٦ هـ) .

(٢) ابن الأنبارى : من أعلم نحاة الكوفة أخذ عن ثعلب ، ومات سنة ٣٢٧ هـ .

(٣) أبو عبيدة والأصمعى : علمان شامخان من علماء البصرة أصبحا على أفواه الناس ، وكأنهما فرسا رِهان ، أخذا عن أبى عمرو فتأثرا بمنهجه ، وهما وإن كان من عُمُد الرواية فى البصرة إلا أن أبا عبيدة كان أعلم من الأصمعى بالأنساب والأيام ، والأخبار ، وكان للأصمعى يد غرّاء فى اللغة لا يعرف فيها مثله ، وفى كثرة الرواية .

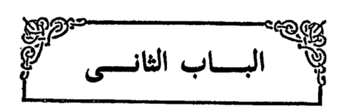
(٤) الركية : حفر أشار أبو موسى الأشعرى أن تحفر على جادة البصرة إلى مكة ، وماؤها عذب ، وهى البئر ، والجمع ركايا .

(٥) الزّل : حمل الطعام من الولائم ونحوها .

الباب الثانى

فيمن كان يسمى طفيليا فى الجاهلية

- الإمّعَة .
- المخقِب .
- الضيّفَن .
- من هؤلاء ؟
- وعلام أطلقت هذه الأسماء فى الجاهلية ؟



الباب الثانى

(فيمن كان يسمى طفيليًّا فى الجاهلية)

من ذلك الذى كان يدعى فى الجاهلية «إمّعة» ؟

قال أبو الأحوص[1] :

قال عبد الله[2] : كنا ندعو «الإمّعة»[3] فى الجاهلية الرجل يُدْعى إلى طعامٍ فيذهب بآخر معه لم يُدْعَ إليه .

من المحقِب ؟

وعن عبد الله — أيضا — قال :

كانوا يعدون «الإمّعة» فى الجاهلية الذى يُدْعى إلى طعام فيذهب معه بآخر وهو : «المحْقِب» .

والمحقب : الذى يُحْقِبُ دينَه الرجال .

---

(١) أبو الأحوص : ذكر الخطيب البغدادى سند هذه الرواية عن سفيان الثورى عن أبى الزعراء عن أبى الأحوص .

(٢) قال صاحب اللسان : وفى حديث ابن مسعود — رضى الله عنه — «الإمّعة فيكم اليوم المحقبُ الناسَ دينه» وفى رواية «الذى يحقب دينه الرجال» . أراد الذى يجعل دينه تابعاً لدين غيره بلا حجة ، ولا برهان ، ولا روية وهو من الإرداف على الحقيبة : «حقيبة الرحل خلف الراكب» . فعبد الله هو : عبد الله بن مسعود رضى الله عنه .

(٣) الإمّع والإمّعة — ويفتحان : الرجل يتابع كل أحد على رأيه ، لا يثبت على شئ . ومتّبع الناس إلى الطعام من غير أن يدعى . والمحقبُ الناس دينه ، والمتردد فى غير صنعة ، ومن يقول : أنا مع الناس .

قال الخطيب[1] :

يعنى المتّبع دينَه آراءَ الرجال من غير نظر فى دليل ، ولا طلب لحجة ، وهو مأخوذ من «الحقيبة» التى تعلق على الفرس ، فكذلك هذا يعَلّق أمر دينه على غيره تقليداً لا اجتهاداً .

من الضّيْفَن ؟

وقال ابن قتيبة :

والضّيفَنُ : الذى يجئ مع الضيف ، ولم يُدْعَ[2] .

ويقول الشاعر :

إذا جاء ضيفٌ جاء للضيف ضَيْفَنٌ فأودى بما تقرى الضيوفُ الضّيافِنُ

والضيافن : جمع ضيفن .

والمراد : أن الطفيليين (الضيافن) يأتون على ما أعد للضيوف ، من طعام ، وهو «القِرى» .



(١) الخطيب : هو الحافظ أبو بكر أحمد بن على بن ثابت البغدادى المعروف بالخطيب ، كان من الحفاظ المتقنين ، والعلماء المتبحرين ، صنف نحو مائة مصنف من أشهرها «تاريخ بغداد» توفى سنة ٤٦٣ هـ . ولقد اعتمد المؤلف فى كتابه هذا على مؤلّفه فى «التطفيل» وزاد عليه خلاصة ماتضمنته كتب التراث بعد أن جرد رواياته من أسانيدها إلى حد مّا لكيلا يطيل على القارئ مما يناسب عصرنا ، ويلائم تطور الحياة ، فى سهولة عرض ، وحسن ترتيب .

(٢) وقد ألغز الحريرى ـ صاحب المقامات ـ فى هذا بقوله : ما الوصف الذى إذا أردف بالنون ، نقص صاحبه فى العيون ؛ وقُوّم بالدون ، وخرج من الزبون ، وتعرض للهون ؟!

وتجد الإجابة فى «ألغاز الحريرى ـ مكتبة ابن سينا» وخلاصتها : كلمة «ضيف» إذا لحقته النون ، استحال إلى «ضَيْفَن» وهو الذى يتبع الضيف ، ويتنزل من النقد منزلة الزّيف !

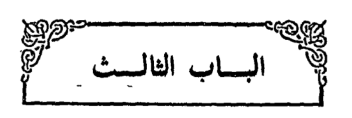
الباب الثالث

فى الموائد وآدابها

- آداب المائدة .
- موائد الملوك والرؤساء !
- محظورات تُجْتَنَب !
- موائد الملوك ..

للشرف !

لا للعلف !!



الباب الثالث

(فى الموائد وآدابها)

غسل اليدين قبل الأكل وبعده :

قال الحسن البصرى[1] :

غسل اليدين قبل الطعام ، ينفى الفقر ، وبعده ينفى اللمم[2] .

وقال عمر بن عبد العزيز — رضى الله عنه — : افرش إلى طعامك اسم الله . وأَلحِقه حمدَ الله[3] .

آداب الأكل مع الملوك والرؤساء :

وقال بعض الظرفاء :

من أكل مع الملوك والرؤساء فلتكن أظفاره مقلومة ، وفمه نظيفا ، ولقمته صغيرة ، وليأكل مما بين يديه[4] .

---

(١) الحسن البصرىّ : تابعىّ من مشاهير الثقات ، ولد فى المدينة ، وأقام فى البصرة ، وفيها توفى . (٢١ — ١١٠ هـ) .

(٢) اللَّمَم : — محركة — صغار الذنوب ، والجنون . وغسل اليدين فى أول الطعام للاستحباب ، وفى آخره للنظافة ، والنظافة من الإيمان . وما روى عن الحسن — كما جاء فى «عيون الأخبار» لابن قتيبة : «الوضوء قبل الطعام» .

(٣) عمر بن عبد العزيز بن مروان (٦١ — ١٠١ هـ) الخليفة الأموى الذى اشتهر بتقواه ، وتمسكه بالسنة ، ويعدونه خامس الراشدين .

ولقد تناول أبو طالب المكى فى كتابه : «قوت القلوب» آداب الطعام ، وذكر فى أوله : أن الطعام والأكل يشتمل على مائة وسبعين خصلة ما بين فرض ، وسنة ، وأدب ، وفضيلة ، واستحباب ، وكراهية ، ومروءة ، وفتوة من طريق السلف ، وصنائع العرب .

هذا ولا بركة فيما لم يذكر اسم الله عليه ، ولا دوام لنعمة لا تجد فى مقابلها حمداً وشكراً .

(٤) وما بالنا نذهب بعيدا والحديث المتفق عليه عن عمر بن أبى سلمة — رضى الله عنهما — يقول : قال رسول الله ﷺ «سَمّ الله ، وكل بيمينك ، وكل مما يليك» فما أحسن هذا الأدب النبوى ! والشئ من معدنه لا يستغرب ، فلقد أدبه ربه فأحسن تأديبه !

إياك ثم إياك !

وقال آخر :

من أكل على موائد الرؤساء ، فلا تسافرنّ يَدُه على الخُوان .

ولا يأخذ وُجُوه الرُّغْفَان !

ولا يَفْقَأَنّ أعين الألوان[1] !

محظورات !

وقال آخر :

إياك ، والنبوة[2] إلى البيضة المتصلة .

والاستبشارَ بكُلْيةِ الجمل .

ومُخ العظم[3] ، وعين الرأس .

ولا تكوننّ أول آكل، وآخر تارك.

ولا تَتَجَشّأ على ماء[4] !

ولا تبزُقَنّ فى الطّسْت[5] !

---

(١) الخُوان : المائدة — بضم الخاء وكسرها — والمراد أن يحذر السماح ليده بالتنقل هنا وهناك بين أطباق المائدة بل يأكل مما يليه .

ولا يأكل وجوه الرّغفان — كما يحلو لبعضهم أن ينتقى ما يعجبه ويترك لغيره ما بقى منه ، ولاشك أن وجه الرغيف يغرى بتناوله ، ولكن لِمَن يترك ظهره؟

ولا يفقأ أعين الطعام : أى لا يبادر بتذوق كل لون وأكل ما على وجهه ، فكأنما يفقأ عينه .

(٢) النبوة : عدم الاستواء فى مكانك المناسب . وبيضة السنام . شحمته .

(٣) مُخّ العظم : ما بداخله .

(٤) التجشؤ : يكون عند امتلاء المعدة حيث يخرج هواء من الجهاز الهضمى مصحوب بصوت منفر ورائحة كريهة .

(٥) الطّسْت : وعاء تغسل فيه الأيدى . والبُزاق : البصاق .

خلال قبيحة ينبغى اجتنابها !

وقال علىّ بن حرب :

تغديت يوماً مع «المأمون»[1] فالتفت إلىّ وقال : خلال قبيحة بالمرء عند حضور المائدة :

- كثرة مسح اليدين .
- ومَسّ اللحية .
- والإكباب على الخوان .
- وكثرة أكل النُّقْل[2] .

موائد الملوك ليست علفاً وإنما هى شرف !

وكان الربيع بن يونس يقول :

إنما نحضر موائد الملوك للشرف ؛ لا للعلَف ! .

نظرة السلف إلى موائد غيرهم :

وكان ابن سيرين[3] إذا دعى إلى دعوة أكل قليلا فى منزله .

فقيل له فى ذلك .

فقال : لا أُلقى عامّةَ[4] جُوعِى عليهم !!

---

(١) المأمون : خليفة عباسى . ابن هارون الرشيد وأخو الأمين . كان عصره العصر الذهبى للعلوم والمعارف والترجمة .

(٢) النُّقْل : ما يُتَنَقَّل به على الشراب من فواكه ، وكواخ وغيرها ، وما يتفكّه به من جوز ، ولوز ، وبندق ، وفستق ، ونحوها .

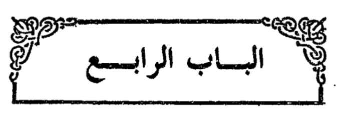
(٣) ابن سيرين : أبو بكر محمد بن الأنصارى (ت ١١٠ هـ) فقيه محدث ، مفسر ، ولد وتوفى بالبصرة .

(٤) عامّةَ جوعى : أى جوعى كله . فلا يحملهم مئونته كاملة . ومن الناس من ينتهزها فرصة ، حتى أنه لا يذهب مائدة إلا إذا كانت معدته خالية . ومن الناس من يتحرج من الأكل خارج منزله ، فيترك المائدة على غير امتلاء تحرجا وتعففًا !

الباب الرابع

في الخبز والرقاق

- من كرامة الخبز ..
- أشعر الناس !
- خير ما يباع ويشترى !
- هل رأيتم .. ؟!
- مواقيت طعامية !
- أحسن مايكون فى وجه الخوان !



الباب الرابع

(فى الخبز والرّقاق)

من كرامة الخبز ...

قال بعضهم :

من كرامة الخُبز ألّا يُنتَظر به الإدام[1] !

أطيب رائحة :

وعن أبى هُرَيرةَ ـــ رضى الله عنه ـــ ما شممت من رائحة أطيبَ من رائحة الخبز !

أشعر الناس :

وسئل بعض الصوفية : من أشعر الناس ؟

فقال : «ابن المعتزّ» حيث يقول :

رأيتُ بيوتًا زُيّـنَتْ بنمارقٍ ... وزُيِّنَ ما فيها من الوشىِ والطَّرْزِ
فلم أرَ ديباجاً ، ولم أرَ سُنْدُساً ... بأحسَنَ فى دار الكريم من الخُبزِ[2]

خير ما يباع ويُشترى :

وقال الصاحب[3] :

لم يَشترِ الناسُ ولا بَاعُوا ... خيْراً من الخُبزِ إذا جَاعُوا

---

(١) الإدام : ما يؤكل مع الخبز من طبيخ وغيره . ومن كرامة الخبز أنه يمكن أكله وحده .

(٢) النمارق : جمع نُمْرُقة . وهى الوسادة الصغيرة يُتّكأُ عليها .

والوشْى : نقش الثوب ، ويكون من كل لون .

والطرز : الزخرفة والوشى .

والديباج : ضرب من الثياب سَدَاه ولُحمتُه حرير (فارسى معرب) .

والسندُس : ضرب من رقيق الديباج .

والمراد : أن الخبز يفوق فى حسنه كل ما يزين البيوت من نمارق وغيرها ، فهو زينة بيت الكريم !

(٣) ابن عباد ، له كتاب المحيط . (ت ٩٨٩ م)

هاتِ وصفَ رغيف !

وقال محمد بن الجراح لأبى المحقق غادر بن شاكر :

دَعْ عنك رسمَ الدّيَار ودَعْ صفاتِ العُقَار
وهاتِ وَصْفَ رَغيفٍ خَلْقُه شَمسُ النهارْ
فليسَ يحسنُ إلاّ فى وصْفِه أشعارْ
وذاك أنى قديماً خلَعْتُ فيه العِذارْ(1)

هل رأيتم ؟!

وقال اليعقوبى :

طيبيَ الأرض ، ومنديليَ الهَوَا وعلى الخبزِ من الجوع احتلامى
هل رأيتُم أحداً فيما مضى يرى الرُّغْفَانَ غيرى فى المنام ؟!(2)

مواقيت زمنية طعامية :

وكان إبراهيم بن العباس يقول :

- الخبزُ ليومه . .
- والبِطِّيخُ لساعته .
- والنبيذُ لسَنَتِه .

أحسن ما يكون وجه الخوان !

وقال الثعالبى فى المُبْهج :

أحسن ما يكون وجهُ الخوان ، إذا حضرت شوارب الرغفان .

---

(1) دع عنك رسم الديار : الأطلال . أى لا تبدأ قصائدك بالحديث عما بقى من آثار الديار ، وبكاء الأطلال ، ولا تبدأ قصيدك بوصف العُقَار (الخمر) ، ولكن ابدأ بوصف الرغيف .

وخلع العِذار : ترك الحياء ، وركب هواه ؛ أى أنه حين رآه لم يستطع أن يمنع نفسه عنه ، ولم يجد لديه القدرة على مقاومة شهوة الجوع ؛ ولهذا عندما رأى الرغيف تخلى عن حيائه ووقاره ، وراح يلبى نداء الجوع ، وشهوة الأكل !

(2) لاشك أنه كان يعانى الجوع ، ويحلم بالرغيف ، وقديما قال آباؤنا ؛ أمثالهم الشعبية «حلم الجوعان عيش» وهم يطلقون على الخبز «عيشاً» ؛ لأن الإنسان يعيش به وعليه .

أحسن وصف للرّقاق :

ولم أسمع فى وصف الرقاق[1] ، وإسراع الخباز خبزه أحسنَ وأبدعَ من قول ابن الرومى[2] :

إنْ أنْسَ لا أنسَ خبازاً مررْتُ به ... يَدْحُو الرُّقَاقَةَ مِثْل اللّمْح بالبَصَرِ

ما بينَ رُؤْيَتِهَا فى كفّه كُرَة ... وبين رُؤْيتِها قوراءَ كالقمَرِ

إلا بمقدار ما تنداحُ دائرةٌ ... فى صفحةِ الماء يُلْقَى فيه بالحجَر

وقال أبو طالب المأمونى :

رُقاقُ بُرٌّ كلّما أُلْقِيَتْ ... منه على مائدةٍ واحدهْ

خِلْتها حَلّقَتْ واغتدت ... على حَواشى طَرْفها زائدهْ

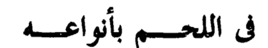


(١) الرُّقاق : بالضم ــ الخبز الرقيق . الواحدة : رُقاقة .

ولا يقال : رِقاقة بالكسر ، فإذا جمع قيل : رِقاق بالكسر .

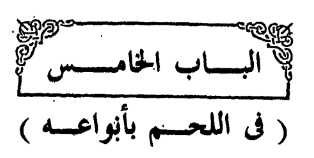
(٢) ابن الرومى : شاعر عباسّى عاش فى عصر بلغ كل شىء فيه أقصاه ــ كما يقول العقاد ــ وهو شاعر ــ من فرعه إلى قدمه ــ من الشعراء القليلين الذين تعد أشعارهم ترجمة لنفوسهم ، ومن يتأمل الخباز ، وهو يخبز الرقاق . وحركة يده يجد ابن الرومى قد أبدع الوصف والتشبيه . ويدحو الرقاقة : يبسطها . وتنداح : تسترسل إلى أسفل .

البـــاب الخامـــس



فى اللحـــم بأنواعـــه

- أفضـــل الإدام ..
- لذاذات الدنيا الثلاث !!
- أفضل الطعام ...
- أى البقول أحَبّ ؟
- أطيب الأصوات !
- أحد البلغاء يصف جملا مَشْويًّا
- وآخر يصف حَمَلاً .
- مواصفات من وحى الجوع !
- بين جَدْى سمين ، وآخر هزيل ..
- هل لك فى الرءوس المشوية ؟!



الباب الخامس

(فى اللحم بأنواعه)

أفضل الإدام :

قال بعضهم : أفضلُ الأُدْمِ فى الدنيا والآخرة اللحم[1] .

لذاذات الدنيا :

وقال بعض الفلاسفة : لذَاذَات الدنيا ثلاثة ، وكلّها لحمانية :

- أكل اللحم !
- وركوب اللحم !
- ودخول اللحم فى اللحم !

أفضل الطعام :

وسئل بعضهم عن أفضل الطعام ، فقال :

خُبزُ البُرّ[2] ، ولحم الضأن .

أىُّ البقول أحبّ إليك ؟

وقيل لأبى الحارث جِمّير : أى البقول[3] أحب إليك ؟ فقال : بَقْلةُ الذّنَبِ[4] ، يعنى اللحم .

---

(١) الإدام : ما يُؤتَدَمُ به مع الخُبزِ ، وهو معروف .

والأُدْم (بالضم) كل ما يؤكل بالخبز ، أى شئ كان .

وفى الحديث : «سيد إدام الدنيا والآخرة اللحم» . جعل اللحم أُدْما . وبعض الفقهاء لا يجعله أدما ، ويقول : لو حلف ألا يأتدم ، ثم أكل لحما لم يحنث . ا هـ لسان العرب . وقال فى كشف الخفاء : قال النجم : وعند الطبرانى والبيهقى وأبى نعيم فى الطب : «سيد الإدام فى الدنيا والآخرة اللحم» وعند البيهقى عن أنس : «خير الإدام اللحم وهو سيد الإدام» . انظر كنز العمال للهندى (٤١٠٠٠)، (٤١٠٠٧١)

(٢) البُرّ : (بضم الباء) القمح .

(٣) البقل : كل نبات اخضرت له الأرض ، فهو بقل . والبقل إذارعى لم تبق له ساق ، أما الشجر فتبقى له وإن دقت .

(٤) بقلة الذنب : كناية عن اللحم ، والذنَب : الذيل . كأن اللحم بقلة أنبتت ذيلاً .

وقال الشاعر :

اللَّحْمُ أفضلُ بَقْلٍ أنتَ آكِلُه . وأفضلُ الخُبْزِ البُرُّ يا صَاحِ[1]

وأى الأصوات أطيب ؟

وقيل لأبى الحارث أيضا : ما أطيبُ الأصوات ؟

فقال : نَشْنَشَةُ المقالى[2] ، بين غمغمة القدور[3] . ولا تنسَيَنَّ قرقرةَ القيشانى[4] .

أحد البلغاء يصف جملا مشويًّا :

ووصف بعض البلغاء جملا مَشْوِيًّا فقال :

مرحَباً بالشهيد ابن الشهيد !
الذّهبِىّ الدثَار[5] !
الفِضّىّ القُتَار[6] !

أطيب ما يكون الجمل :

وقال الثعالبى[7] فى المبهج :

أطيب ما يكون الجمل إذا حَلّت الشمس فى الحمل[8] .

---

(١) ياصاح : أى يا صاحبى . حذف آخره للتخفيف . ويسمى منادى مرخما .

(٢) نشنشة المِقالى : المقالى جمع مِقلى : وهى أداة القلى . والنشنشة الصوت . يقال : نشَّ اللحم : سُمِعَ له صوت على المِقلى أو فى القِدر .

(٣) غمغمة القدور : صوت غليانها . والقدور جمع قِدر . وعاء الطبخ .

(٤) قرقرة القيشانى : صوت الأطباق ، وما له من إيحاء لذيذ .

(٥) الذهبى الدِّثار : الدثار : الثوب يُسْتَدْفأ به فوق الشعار .

والمراد : أنه بعد الشىّ قد اكتسب ذلك اللون الذهبى وكأنما قد تدثر به !

(٦) الفِضّى القُتار : القُتَار ريح القِدر ، وريح الشواء إذا ضُهِّب على الجمر ، ومن مارس عملية الشّىّ يعرف رائحة الشواء المنبعثة مع الدخان الفضى .

(٧) الثعالبى : أبو منصور ـــ النيسابورى (٩٦١ ـــ ١٠٣٨) أديب لغوى مؤرخ عباسّ . له يتيمة الدهر فى شعراء أهل العصر ، وفقه اللغة .

(٨) الحمل : الخروف ، وحلت الشمس الحمل : نزلت فى برج الحمل . وهو برج فى السماء من البروج الربيعية ، فيه يحلو الجو ، ويطيب الأكل والسمر . وبين الجمل والحمل جناس ناقص ، وتورية لطيفة . ويقولون : إن الحَمَل : البرج الذى تحل فيه الشمس أول الربيع ويعتدل الليل والنهار .

أحلام جائع راح يتغزل فى حَمَل (خروف) مشوىّ بذكر مواصفاته :

وما أحسنَ قولَ السّرِى الموصِلىّ[1] :

أَبْغِيهِ مُعَصْفَرَ البُرْدَيْن	أبيضُ فيه حُمْرَة كاللُّجَيْن[2]
خُلّف شهراً على الخِلْفَيْنِ	ثم رَعَى بعدهما شهرين[3]
فجسمُه شِبرَانِ فى شِبرين	ياحُسنَه وهو صَريعُ الحَيْن[4]
بين ذراعين مُنْفَصِلين	كسارِقٍ حُدّ من اليدين[5]
وطرفٍ يستوقِفُ الطَّرْفَين	مثل مرآةٍ من الُّلجين[6]
مُذَهّبَة المقبض والوجهين	كما قُرِنَتْ بين كمأتين[7]
أوكُرَتَى مِسْكٍ لطيفتين	بكفّ ساقٍ عَطِرِ الكفّين
شُقّ حَشَاه عن شقتين	أُختان فى القَدّ شبيهتين[8]

---

(١) هو السّرِى الرّفّاء (ت : ٩٧٦ م) شاعر من أهل الموصل ، مدح سيف الدولة الحمدانى ، ثم انتقل بعد وفاته إلى بغداد ، فمدح الوزراء ، إلى أن تصدى له الخالديان ، فكانت بينه وبينهما مهاجاة . مات ببغداد . له ديوان .

(٢) معصفَر البُرْدين : مُتَبّلاً بالعصفُر ، أو فى لون العُصفُر بعد الشّواء .

والعصفُر نبات صيفىّ يستعمل زهره تابلا ، ويستخرج منه صبغ أحمر يصْبَغُ به الحرير ، والبردين . مثنى برد . وهو كساء مخطط .

وهو يرى الحملَ بعد الشّواء معصفر البردين فبدا فى ثوبه ولونه الجديد أبيض فيه حمرة كاللجين (الفضة) . والكلمة على صورة المصغر .

(٣) على أن يكون قد ترك مدة شهرين يرضع من الخِلْفين (مثنى خِلْف وهو الضرع) أو (حلمة الثدى) . ثم ترك بعد رضاع شهرين يرعى شهرين آخرين .

(٤) يحدثنا الشاعر عن طول ذاك الحمل وعرضه فيقول : فجسمه شبران فى شبرين ، ثم يتعجل اللقاء المنتظر ، وساعة ذبحه فيقول : يا حسنَه وهو صريعُ الحَيْن (الأجل) حيث حان حينه ، وانتهى أجله .

(٥) ويتابع الشاعر مراحل تهيئته للطعام وقد سُلِخ وشق بطنه فيرى ذراعيه وقد انفصلا عن جسمه وقطعت أطرفهما كسارق قطعت كفه فى حد السرقة .

(٦) وينتقل الشاعر إلى طرْفه (عينه) التى تسترعى الأنظار إليها فبدت وهى مفتوحة كمرآة من فضة فى بياضها وصفائها ! ونرى الشاعر بدأ يتغزل فى عينيه بعد أن استراحت نفسه بذبحه وقطع يديه ، فراح يحدثنا عن عينيه كمرآة ذات وجهين ومقبض ، وقد بدت فى لونها الذهبى . كأنك قد جمعت بين كمأتين (والكمأة فُطْر من الفصيلة الكمئية ، وهى أرضية ، فتجنى ، وتؤكل مطبوخة ، ويختلف حجمها بحسب الأنواع) .

(٧) وتبدو العينان ككمأتين أو كرتين من المسك .

(٨) ومن ينظر إلى الحمل وقد شق بطنه يرى شقتين متشابهتين شكلا . وكما يطلق القَدّ على الشقّ فيقال : قُدَّ بطنه . يطلق أيضا على القِوام .

جدى سمين !

ووصف بعضهم جَدْياً سميناً قُدِّم إليه فقال :

كأنما نُدِف على جبينه القطن[1]

الجدى الذى نال منه العشق وأضناه !!

وحضر أبو تمام[2] دعوة فقُدّم إليه جدى مهزول فقال :

جديكم هذا كان عاشقاً !!

جـدى مهـــزول :

وقال ابن طَباطبَا يصف جديا مهزولا :

يامَن دعانى ــ أطال الله عمرك لى ... ولا عَدِمْتُك من داعٍ ومُؤْتَمَلِ[3]
لا أنسَ لا أنسَ حتى الحشرِ مائدةً ... كانت لديك أتتنى فى أشغِلِ الشُّغُلِ
إذْ أقبل الجدى مكشوفاً فرأيته ... كأنـه متمَطٌّ دائـمُ الكسلِ
تُشيرُ كِلْتَا يَدَيْهِ تُذَكـرنى ... بيتًا عَلّـه من أحسن المثلِ
كأنه عاشقٌ قد مَـدّ صَفْحَتَه ... يوم الرحيل إلى توديع مرْتحِلِ
وقَدْ تردّى بأطمار الرِّقاق لنا ... مثل الفقير إذا ما راح فى ثمَلِ
فليت شعرى ما كان أهزَلَهُ ... إذ كان إيمانُه قولاً بلا عَمَلِ
مَدَدْتُ كفّى فلم ترْجع بفائِدة ... لأنها وقعت فيه على طلـلِ[4]

(١) من رأى جديا مسلوخا فلا شك أنه توقف أمام ذلك البياض الناصع . والأديب يتخيله كأنما وضع على جبينه قطن مندوف قد ضرب بالمندف وهو خشبة يطرق بها النَّدَّاف الوتر ليرقق القطن ، وكلنا شاهد هذه الآلة عند المنجد يضرب بها القطن . وإن كان قد استعيض عنها بآلة كهربية .

(٢) أبو تمام : حبيب بن أوس الطائى (٧٨٨ م ــ ٨٤٥ م) ولد فى جاسم بسوريا . شاعر عباسىّ تنقل فى بلاد الشام والعراق ومصر . وتُوفىَ فى الموصل . أمتاز بخياله الواسع . وله ديوان .

(٣) مؤتَمَل : محط الآمال .

وابن طَباطبا هو أحمد بن محمد المصرى الرسى كان نقيب الطالبيين بمصر ــ كما يقول ابن خلكان ــ وله شعر مليح فى الزهد والغزل وغير ذلك . وذكره أبو منصور الثعالبى فى كتاب اليتيمة .

وطبَا وطبَا بفتح الطاءين والباءين لقب جده إبراهيم ، وإنما قيل له : «طبا طبا» لأنه كان يلثغ فيجعل القاف طاء ، وطلب يوماً ثيابه ، فقال له غلامه : أجيء بدُرَّاعَةٍ ؟ فقال : لا طباطبا . يريد قَبًا قَبًا ، فبقى عليه لقبا ، واشتهر به .

(٤) الطلل : ما بقى من آثار الديار والجمع : أطلال . والمراد أن يده لم تقع إلا على هيكل عظمى !

هل لك فى الرءوس المشوية ؟

وقال الجاحظ يصف الرءوس المشوية حكاية عن أبى عبد الرحمن التّوّزىّ قال : كان يعجب بالرءوس المشوية ويصفها :

- ويصف الرأس مرة بالجامع ..
- ومرة بالكامـــــل ..

ويقول : الرأس شئ واحد ، وهو ذو ألوان عجيبة ، وطعوم مختلفة . وكل طعام ، وكل شئ ، فإنما هو شئ واحد . أما الرأس ففيه الدماغ ، وطعمه مفرد والعينان وطعمهما مفرد ! ، على أن شحمتهما أطيب من المخ ، وأنعم من الزبد . ثم يُعُدّ أسقاطَه كُلَّها فى كلامٍ طويل .

ابن الرومى يبدع فى وصف الرءوس والخبز الحُوَّارَى[1] :

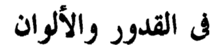
وأحسن فى وصف الرءوس ، والخبز الحُوّارَى ابن الرومى ، وأبدع فيما لا يسبق إلى معناه حيث يقول :

مَا إنْ رأينا من طعامٍ حاضر ... معتـــدة لفجـــاءة الـــــزوار
كهـاتين من المطاعـم فيهـما ... شَبَهٌ من الأبْـرارِ والفُجّـار
هَامٌ ، وأرغِفَةٌ ، وضـماء مخت ... قد أُخرِجَت من فاحِم عقار[2]
كوجُوهِ أهل الجنةِ ابتسمت لنا ... مقرونـةً بوجـوهِ أهِـل النـارِ



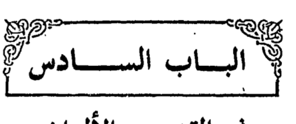
(١) الخبز الحُوّارَى : الدقيق الأبيض ، وهو لبابُ الدقيق ، وكل ما حُوّر من طعام أى بيض .
(٢) هام : رءوس . مُخّت : اختيرت

الباب السادس



فى القدور والألوان

- غليان القدور وما ورد فى التعبير عنه !
- رائحة القدور وبماذا شبهوها ؟!
- لغز فى وصف القدر !
- رسالة تتضمن قائمة بألوان الطعام .
- دعوة إلى الثعالبى .
- ألوان طيارة ، ورغيف مقصوص الجناح !!



الباب السادس

(فى القدور والألوان)

كناية لطيفة :

قال أعرابى لأعرابية :

أين بلغت قدوركم[1] ؟

فقالت : قد قام خَطِيبُها !

(تعنى أنها قد أخذت فى الغليان[2] !!)

رائحة القدور :

● وقال بعض ظرفاء البلغاء :

شممت من دار فِلان رائحة العَرُوسِ الحسناء فى أنف العاشق الشبق[3] .

● وقال الثعالبى :

هذه قدر طاب عَرْفها ، وطار عَرَقُها[4] .

● وقال المشطب يصف غليان القدور :

العودُ ينطقُ والأقداحُ دائرةٌ ... والقِدْر لاغيةٌ فى وجه طاهيها

قِدرٌ مُغَمْغِمَة تَغْلِى مُغَرْغِرَةً ... كأنها التركُ تلغـــو ملاغيها[5]

---

(١) أما القدور فجمع قِدر : آنية الطبخ . وأما الألوان فجمع لون: أصناف الأطعمة .

(٢) تُرى لو عاشت هذه الأعرابية ورأت آنية الطهى بالبخار ، وما ترسله من إنذار تِلْو إنذار فماذا كانت تقول ؟!

وقام خطيبها : أى أنها تُحْدث صوتا معبرا عما يدور فيها من غليان كما يعبر الخطيب عن عواطفه الجياشة قائما فى مجلسه .

أو قام عنها خطيبها فتركها تغلى شوقا متجددا إلى لقائه ثانية !!

(٣) الشَّبِق من اشتدت شهوته ، واستبدّ به الحنين إلى من يعشقه .

(٤) العَرْف : الرائحة الطيبة . ويقصد بالعرق البخار .

(٥) لاغية : من اللغو ، وهو الحديث ، وكأنما تتكلم بلغة الترك ، أى بلغة غير مفهومة ، وهذا تعبير عن صوت غليان الماء فى القِدر .

والغرغرة : صوت غليان القدر كما ذكر الثعالبى .

لغز فى وصف القِدر :

وقال السَّرِيُّ المَوْصِلِيّ فى وصفها مُلْغِزاً :

سوداءُ لم تنتسب لحامِ ولم ترم ساحةَ الكرامِ
لها كلام إذا تناهت غير فصيح من الكلام[1]

رسالة تتضمن «قائمة» بألوان من الطعام :

وكتب بعض الظرفاء إلى صديق له :

عندى «سِكْباجة» تفتق الشهوة !
و «أسيذباجة» تغذّى .
و «طباهجة» يتفكه بها .
و قَلِيَّةٌ تجمع طيباً ومنظرا حسنا .
وخبيص تختم بخير[2] .

دعوة إلى الثعالبى :

وكتب ابن أبى جعفر الموسوى للثعالبى :

عندى أسيذباجة كأنها طبخت

---

(١) حام بن نوح : منه انحدر الجنس الأسود أو الحاميون .

ويقصد أنها على الرغم من سوادها فهى لا تنتمى إلى حام ، وليست من فصيلته .

ولم تَرُمْ : لم تفارق منازل الكرام وقصورهم فهى مرتبطة بالكرم ومن الكنايات اللطيفة عن الكرم أنهم كانوا يقولون : فلان كثير الرماد . وكثرة الرماد مترتبة على كثرة الإحراق ، وكثرة الإحراق ناشئة من كثرة الطبخ فى القدور ، وكثرة الطبخ للضيفان تعنى الكرم .

وتناهت : بلغت نهايتها .

(٢) ويقول الثعالبى فى كتابه فقه اللغة وأسرار العربية فى أسماء تفردت بها الفرس دون العرب فاضطرت العرب إلى تعريبها أو تركها كما هى : من ألوان الطبيخ : السكباج والاسبيذاج والطباهج .

والسكباج : مرق يعمل من لحم وخلّ . الألفاظ الفارسية-٩٨ .

والطباهجة : كلمة معربة أصلها «تباهه» وهو اللحم المشرح المطبوخ ، ويسمى أيضا «الكباب» [المخصص : ١٢٧/٤] . وقيل : هى طعام من ابيض وبصل ولحم .

والقلية : مرقة تتخذ من أكباد الجزُر ولحومها . [المخصص ١٤٦/٤]

والخبيص : طعام من سمن وتمر ودقيق .

بنـــارِ شـــوق إليـــك !
وفالوذج يحكى حلاوتك فى قلبى !
وشراب أصفى من مودتك لى !
فإن ساعدتنى عليها ، أسعدتنى إن
شاء الله تعـــــــالى[1] !

ألوان طيارة ورغيف مقصوص الجناح

ومن أحسن النوادر التى سمعتها فى الألوان أن الجماز حضر دعوة فجعل رب البيت يدخل ويخرج ويقول :

عِندِى سكباجة شمامة تطير فى الطِّيب .
وقَلِيَةٌ طيارة تطير مع النسيم !
وخبيصٌ مُجَنَّح بالسكـــر !

فقال الجماز :

أحب أن تمسك ريقى برغيف مقصوص الجناح ؛ فقد مِتُّ جوعا ؛ ولا حاجةَ لى إلى ألوانك هذه الطيارة !!

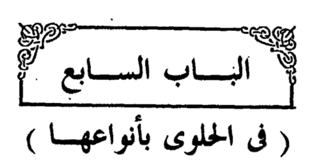


(١) الفالوذج : (بفتح الذال) فارسى معرب ، وهو حلواء تعمل من الدقيق ، والماء ، والعسل . ويؤخذ من وصفها فى الشعر أنها تعمل من لُباب البُرّ والسمن والشهد .

البــاب الســابع

فى الحــلوى بأنواعهــا

- هل لك فى هذه الأنواع ؟
- الأرزة بلبن .
- الهَريسَــة .
- السّكْبَاجَةِ .
- الفالُوذَج .
- الّلوْزِينج .
- القطائف .
- الخَبيص .
- أيهما أطيب .
- الفالوذج أم اللوزينج ؟!
- أحسن ما قيل فيهما !



الباب السابع

(فى الحلوى بأنواعها)

هل لك فى هذه الأنواع ؟!

قال صديق لأبى إسحق :

هل لك فى « سكباجة » تقرأ وتكتب !
و «قَلِيَّة» تنطق بالشعر ، وتخرج
القريض ! (الشعر)
و «طَبَاهِجَة» كالعود المطرب؟!
و «عُجَّةٍ» تأكل أطراف أصابعك معها !
و «خَبِيصٍ» [1] أحلى من النوم قبل
أن تصل العتمة !؟

فقال له :

﴿فأتنا بما تَعِدنا إن كنت من الصادقين﴾[2]

مَرْحباً بالشيخ الطَّبَرى !

وقُدم إلى بعض الصوفية أرزة بلبن مُغَشَّاة بالسكر فقال : مَرْحَباً بالشيخ الطبرى ، وقد تَرَدَّى بالطيلسان السكرى[3] !!

---

(١) العُجَّةُ بضم العين : طعام يتخذ من بيض يضرب ويُقْلى بالسمن أو الزيت . أما القلية والطباهجة والخبيص فقد ذكرناها فى الفصل السابق .

(٢) بعض الآيات رقم ٧٠ من سورة الأعراف و ٣٢ من سورة هود ، و ٢٢ من سورة الأحقاف .

(٣) الطبرى : محمد بن جرير أبو جعفر مؤرخ وموسوعى ، مفسر ، مقرىء ، محدث له جامع البيان فى تأويل القرآن .

والطيلسان كساء خاص يلبسه الخواص من المشايخ والعلماء . والمراد أنه يستقبل الأرزة باللبن استقبالا يليق بها وأنها منه موضع التكريم والإجلال !

وصف فريد للأرزة باللبن[1] !

ووصفها آخر فقال :

أرزة مكنونة ، فى السكر مدفونة .

وصف على أعلى مستوى !

ووصفها عَضُد الدولة فقال :

واسمها بالسندية « بهنتا » . وقال فيه :

وبهَطّة[2] تعجز عن وصفها ... يا مُدّعى الأوصافِ بالزّورِ

كأنها [3] فى الجَامِ مملوءةً ... لآلىء فى مَاء كافور

هَلُمُّوا إلى الهريسة :

وقال منصور الفقيه فى الهريسة[4] :

هَلُمّوا إلى من عُذِّبَتْ طُولَ لَيْلها ... بأضْيَقِ حَبْسٍ فى جَحيمٍ تُسَعَّرُ

وقُدْ ضُرِبَتْ ألفين مِن غَيْرِ ريبةٍ ... فَحَىّ على دَفْنِ الشهيدة تؤجروا

وقال أبو طالب المأمونى :

هَرِيسَةٌ خِلْتُها وَقَدْ مَلأ الطّبا ... خُ منها الإناءَ ما وَسِعَا

دُرًّا نثيراً أسْلاكُه قِطَعٌ ... فى ماءِ وَرْدٍ وصَنْدَلٍ نُقعا

وقال الثعالبى فى وصف الهريسة :

انشَطْ ــ فديتُك سيدى ــ لهريسةٍ ... شبهتُها فاسمع لتشبيه عجب

---

(١) الأرزة باللبن معروفة . يطبخ الأرز باللبن ويوضع فوقه الزبيب و « جوز الهند » المبشور ، ويضاف إليه ماء الورد والسكر ويقدم مع أطباق الحلوى . ومنه نوع يطهى فى الفرن ويسميه المصريون : « المعمر » ويضاف إليه السكر وقد يقدم دون إضافة السكر إليه .

(٢) البهَطّ : الأرز يطبخ باللبن والسَّمن .

(٣) الجام : الوعاء من زجاج .

(٤) الهريسة : نوع من الحلوى يصنع من الدقيق والسمن والسكر . ولعله يشير إلى عملية إعداد الدقيق وضربه كى تمتزج ذراته ، وما تتعرض له من وضعها فى إناء خاص على نار مسعرة حتى يتم نُضجها ؛ فيُنادى الآكلين أن يقوموا بتناولها لتجد مثواها فى بطونهم !

كخيوط قَزٍّ فى لآلئ فضة فركت وأجرى فوقها ماء الذهب[1]
والدارصينى[2] المشتهى من فوقها مع فُلْفِلٍ يقضى بها بعض الأَرَب
ككتابةٍ من زعفرانٍ[3] نُقّطَتْ بالمسك يقرؤها الفتى عندالسغب[4]
وترى المدى المروزى يمرّ فى صفحاتِها وحِفَافها يمضى بِلَا لغب[5]
كعصارة المسكِ الزكىّ تجلّبت فوق البسيطة فى لُجَيْن منتخبٍ[6]

السكباجة :

● وقال فى السِكباجة :

وسِكْبَاجَةٍ تَشفى السقيمَ بطيبها على أنها جاءت بلون سقيم
إذا زارت أيدى الرجالِ تراجعت كأيدى نساءٍ فى ظلالِ نعيم[7]

الفالوذج :

● قيل للحسن : إن فلانا يَعِيبُ الفالوذَجَ[8] فقال : لغاب النّحل ، بلعاب البُرّ ، بخالص السّمْن ؛ ما عاب هذا مسلم !!

اللّوْزِينَج :

● وقيل لابن السماك :

ما تقول فى : لَوْزِينَج[9] حسن المنظر ، طيب المخبر ؟!
فقال : ما أشدَّ الوصفَ إذا لم يكن معه الموصوف !!

---

(١) قز : حرير
(٢) الدار صينى : من التوابل المشهيات ذات النكهة كالزنجبيل والقرنفل وغيرهما من البهار !
(٣) الزعفران : نبات منه نوع صبغىّ .
(٤) السغب : الجوع .
(٥) المدى : جمع مدية . السكين . وحفافها : جوانبها . واللّغب : التعب .
(٦) البسيطة : الأرض ، واللجين : الفضة .
(٧) المراد أنها ناعمة الملمس طرية كأيدى النساء المنعمات .
(٨) الفالوذج : كان عبد الله بن جدعان القرشى قد أكله على مائدة كسرى فلما بلغ من نفسه ، سأل عنه فقيل : هو «لُبابُ البُرّ» يُلْبَك مع العَسَل ، فابتاع غلاما فارسيا فقدم به إلى مكة ، فصنع بها الفالُوذج ومن هنا ذاع بين العرب . ا . هـ [المرأة العربية فى الجاهلية والإسلام] .
(٩) اللّوزِينَج : من الحلواء ، شِبْهُ القطائف ، تؤدم بدُهْن اللوز .

● وقال الثعالبى :

اللَّوْزِينَج : يؤدى طعم العافية ، ويختم بحسن العاقبة !

عود إلى الفالوذج :

● وما أحسن قول السّرى الموصلىّ فى الفالوذج :

بأحمر مبيضّ الزجاج كأنه ... رداءُ عروسٍ مُشْرَبٌ بخَلُوقِ[1]

له فى الحشا بَرْدُ الوِصال وطيبُه ... وإن كان يلقاه بلون حريق[2]

كأن بياضَ اللّوْزِ فى جنَباتِه ... كواكبُ لاحت فى سماء عقيقِ[3]

مع القطائف :

● وأحسن منه قول ابن المعتز :

أكلت قطائفا فلبست منها ... قطائفَ أدفأَتْ ظهرى وبطنى !

سميذٌ مُخمّل يُحْشَى بلَوْزٍ ... يُشَابُ بسُكّرٍ يُغْلى بدُهْنِ

إذا فكّرْتُ فيه قلت : هذا ... طعامٌ جاءَ من جَنّاتِ عَدْنِ[4]

الخبيص :

● وقال أبو طالب المأمونى :

خَبِيصَةٌ فى الجامِ قَدْ قدّمت ... مَدْفونة فى اللّوْز والسُّكّرِ

(١) مُشرب : مخلوط . والخَلوق : بفتح الخاء : ضرب من الطِّيب أطيب أجزائه الزعفران . والسّرِىّ : يصف جام فالوذج ويعبث بأبى بكر الخالدى ويشير إلى أنه يميل إلى الرشوة فى أبيات ثلاثة سبقت هذه الآيات فيستطيع من يريد التأثير عليه أن يلاطفه بأحمرَ الخ ..

(٢) ومع ما هو عليه من اللون الذى يشبه لون الحريق فإن له أثرا طيبا فى النفس عند تناوله أشبه ما يكون بالراحة النفسية عندما يتيح القدر للمحبين أن يكون بينهما لقاء ووصال .

(٣) العقيق : حجر كريم أحمر يعمل منه الفصوص . يكون باليمن ، وبسواحل البحر المتوسط واحدته عقيقة .
والشاعر حين يرى الفالوذج يحلق فى سماء الخيال فيرى اللوز نجوماً تمحو الظلام بنورها ، ويرى الفالوذج عقيقاً له بريقه وسحره فى النفوس !

(٤) بلغ من نفاسة الكنافة والقطائف أن يشترك فى وصفهما أقطاب الدين والعلم والأدب وأن يتطوع شيخ الإسلام السيوطى بجمع ما قيل فيهما فى رسالة سماها : منهل اللطائف فى الكنافة والقطائف .
وجاء فى لسان العرب : القطائف طعام يسوى من الدقيق المُرَقّ بالماء ، شبهت بخمل القطيفة التى تفترش . والخَمْل : هُدْب القطيفة ونحوها . والسميذ (بالذال) لباب الدقيق . وبالدال لغة فيه . ويشير صاحب التذكرة إلى صنعها فيقول : قد يفرك العجين المخمور النقى البياض بدهن اللوز والعسل ، وقد يحشى بالفستق والعسل .

يأكُـلُ من يأكلهـا خمسةً بِكَفِّـه منها ، ولم يَشْعُـرِ[1] !

أيها أطيب ، الفالوذج أم اللوزينج ؟

قال أبو يوسف القاضى :

تحاكم إلىّ الرشيدُ وزبيدة فى :

« الفالوذج » و اللّوزَينج[2]

أيهما أطيب ؟

فقلت : إنى لا أحكم فى غائب !

فأمر الرشيد باتخاذهما ، وتقديمهما بين يدىّ !

فلما أُحْضِرا ؛ جعلت آكل من هذا مرة ، ومن هذا أخرى ، حتى نصفت الجامين !

فقال لى الرشيد : أيهما أطيب ؟

فقلت : ياأمير المؤمنين ! كلما أردت أن أشهدَ لأحدهما منعنى الآخر بحجتِه !!

ووصف « **الفالوذج** » أبو طالب المدنى فقال :

« فالوذجٌ » يَمنَع مِن نَيْلِـه ما فيه من عَقْد وإنضاج
يَسبِحُ فى لُجّـةٍ يَاقُوتِيَّـةٍ واللوزُ حيتانٌ من العـاج

● وصف بديع الزمان[3] « اللّوزِينَج » فقال :

لَوْزِينَجٌ يمدّ العمرَ إلى يوم النشر ، رقيق القِشر ، كثيفُ الحَشْو ، لَوْلَبىّ الدُّهن ، كَوْكبىّ اللون ، يذوب كالصَّمْغة قبل المضغة[4] .

---

(١) الخبيص والخبيصة نوع من الحلوى من سمن وتمر ودقيق وقد سبق بيانه . والجام: الإناء الزجاجى . وقد يعمل الخبيص من العسل ونقى الدقيق .

(٢) الفالوذج : المعروف عند المصريين « بالبولوظة » . وقد سبق بيانه .

واللَّوْزِينَج : بسكون الواو وكسر الزاى وفتح النون شبه القطائف ، تؤدم بدهن اللوز . فارسى معرب

(٣) بديع الزمان الهمذانى شاعر أديب من أئمة الكتاب ، ولد بهمذان . مدح الأمراء ، والوزراء ، واشتهر بكتابة الرسائل ، و « المقامات » .

(٤) وهذه الفقرة من المقامة البغدادية « لبديع الزمان الهمذانى » يقول عيسى بن هشام : وقلت لصاحب الحلواء : زن « لأبى زيد » من اللَّوْزينج رطلين ؛ فإنه أجْرى فى الحُلوق ، وأسرى فى العُروق وليكن ليلِىّ العُمْر ، يومِىّ النشر (أى صنع فى ليلته ، ويومى النشر : نشر فى يومه . والمراد : أنه غض جديد . لم يمر عليه يوم)=

أحسن ما سمع فى اللوزينج :

وأحسن ما سمعت فيه قول ابن الرومى[1] :

لا يُخْطِئَنّى منكَ لَوْزِينَجٌ	إذا بَدَا أعجبَ أو عجّبَا
لو شاءَ أن يَذْهَبَ فى صخرةٍ	لسَهّلَ الطّيبُ له مَذْهَبَا
لم تُغْلِقِ الشّهْوَةُ أبوابَهَا	إلا أَبَتْ زُلْفَاه أن يُحْجَبَا
يدورُ بالنفْحةِ فى جَامِه	دوراً ترى الدّهن له لولَبَا
عاونَ فيه مَنْظَرٌ مَخْبَرا	مُسْتَحْسَنٌ سَاعَدَ مستعذباً
مُسْتَكْشَفُ الحشْوِ ولكنّهُ	أرَقُّ جِلْداً من نسيمِ الصّبَا
كأنّما قُدّت جَلاَبِيبُه	مِنْ نُقْطَةِ القطْرِ إذا حُبّبَا
يُخَالُ من رِقّةِ خِرشائه	شارك فى الأجنحة الجُنْدُبا[2]
لو أنّه صُوّر من خُبزِهِ	ثغرٌ لكان الواضحَ الأَشْنَبَا[3]
من كلّ بيضاءَ يَوَدّ الفتى	أن يَجْعَل الكفّ لها مَرْكَبَا
مدهونةٌ زرقاءُ مدقوقةٌ	صَهْباء تحكى الأزرقَ الأشهبا
قُرّةُ عَيْنٍ وفَمٍ حُسّنَتْ	وطُيّبَت حتى صَبَا من صَبَا[4]

=وفى المخطوطة : يمد العمر إلى يوم النشر ، وقد نقل الأستاذ على الجندى فى كتابه قرة العين الفقرة وشرحها على أنها يوميّ النشر ، ليليّ العمر .

(١) هذه الأبيات من قصيدة طويلة يمدح فيها أبا العباس أحمد بن محمد بن عبد الله بن بشر المرثدى، ويهنيه بابن وُلد له وأولها :

أقسمت بالله لقد المجـا شمس وبدر ولدا كوكبا

[ديوان ابن الرومى ٣ — ٤٧٩ . زهر الآداب ٢ — ٧]

(٢) خِرشائه : الجلدة الرقيقة والجُندب : نوع من الجراد يصرّ ويقفز ويطير والجمع جنادب . والجيم مضمومة . أما الدال فتضم أو تفتح .

(٣) الأشنب . من الشنب وهو رقة وبرد وعذوبة فى الأسنان .

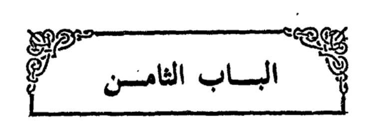
(٤) صبا : مال .

البـــاب الثامـــن

فيمن دُعِيَ إلى طعامٍ فأراد أن يستصحب غيره وأن من السّنّة استئذان الداعى فى ذلك

دعوات إلى الطعام واستئذان :

- «وهذه معى ؟!!»
- تأذن لى فى السادس ؟!!



الباب الثامن

فيمن دعى إلى طعام فأرادَ أن يستصحب غيره معه !

وهذه معى؟!!

[١] عن أنس بن مالك ــ رضى الله عنه ــ أن رجلا فارسيا كان جار النبى ﷺ ، وكانت مرقتُه أطيبَ شىء ريحاً ، فصنع طعاماً ، ثم أتى النبى ﷺ ، وعائشة ــ رضى الله عنها ــ إلى جنبه ، فأوما إليه ، فقال رسول الله ﷺ : **«وهذه معى» ؟!**

فقال : نعم[1] .

تأذن لى فى السادس :

[٢] وعن أبى مسعود البدرىّ ــ رضى الله عنه ــ قال :

صنع رجل منايكنى «أبا شُعَيب» لرسول الله ﷺ طعاما ، فقال : تعال أنت وخمسة معك .

---

(١) قال فى تيسير الوصول :

أخرجه مسلم ، والنسائى عن أنس ــ رضى الله عنه ــ أن جاراً لرسول الله ﷺ فارسيا ــ وكان طيب المرق ــ فصنع لرسول الله ﷺ طعاماً ، ثم جاء يدعوه . فقال رسول الله ﷺ : وهذه ؟ فقال : لا .

فعاد يدعوه : فقال رسول الله ﷺ : وهذه ؟! فقال : لا . ثم عاد يدعوه ، فقال رسول الله ﷺ : وهذه ؟ فقال : نعم . فقاما يتدافعان حتى أتيا منزله .

ولعلّ هذا الفارس هو «سَلْمان» . وكان النبى ﷺ يقول : **«سَلْمان منا آل البيت !»** .

وليس فيه تطفيل بل فيه حصول على إذن مسبق .

والحديث أخرجه مسلم فى صحيحه كتاب الأشربة . باب ما يفعل الضيف إذا تبعه غير من دعاه صاحب الطعام حديث ١٣٩ ، والنسائى فى سننه كتاب الطلاق : باب الطلاق بالإشارة المفهومة (٦/١٥٨) ، وأحمد فى مسنده (٣/١٢٣) ، (٣/٢٧٢) ، والدارمى فى سننه كتاب الأطعمة (٢/١٠٥) .

فقال رسول الله ﷺ : «تأذن لى فى السادس[1]» ؟ !!

وهكذا رَواه :

« ا » وهب بن جرير[2] .

«ب» وسُلَيمان بن حرب .

[٣] وعن أبى مسعود ـــ رضى الله عنه ـــ :

أن رجلا صنع لرسول الله ﷺ طعاماً فأرسَل إليه : أن تعالَ أنت وخمسةً معك .. ؛ فأرسل إليه النبى ﷺ يستأذنه فى السادس[3] .



---

(١) أخرجه مسلم فى صحيحه كتاب الأشربة : باب ما يفعل الضيف إذا تبعه غير من دعاه صاحب الطعام ، حديث ١٣٨ ، والدارمى فى سننه كتاب الأطعمة (١٠٦/٢)

وقال الخطيب البغدادى :

أخبرنا أبو نعيم الحافظ نا عبد الله بن جعفر بن أحمد بن فارس نا يونس بن حبيب نا أبو داود نا شعبة عن الأعمش قال : سمعت أبا وائل يحدث عن أبى مسعود البدرى قال : «صنع رجل منا يكنى أبا شعيب .. الخ الحديث» .

(٢) ويقول الخطيب البغدادى :

أما حديث وهب : فأخبرناه على بن محمد بن عبد الله بن بشران المعدل أنا محمد بن عمرو الرزاز نا محمد بن عبيد الله بن يزيد نا وهب بن جرير نا شعبة عن الأعمش عن أبى أبى وائل عن أبى مسعود البدرى «أن رجلا من الأنصار يقال له : أبو شعيب بعث إلى النبى ﷺ أن ائتنى أنت وخمسة معك ، فبعث إليه النبى ﷺ : «**أتأذن فى سادس**» ؟ فأذن له .

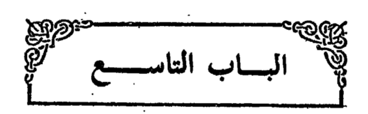
(٣) ويقول الخطيب البغدادى :

أما حديث سليمان ، فأخبرناه أحمد بن محمد بن غالب قال : قرأت على أبى العباس بن حمدان : حدثكم محمد ابن أيوب أنا سليمان بن حرب عن شعبة عن الأعمش عن أبى وائل عن أبى مسعود : «أن رجلا صنع .. الخ الحديث» .

الباب التاسع

فيمن طَفّل على عَهْدِ الرسول ﷺ

«.. إنك دعوتنى خامس خمسة !
وإن هذا اتّبعنا، فإن أذنت،
وإلا رجع !! ....»



الباب التاسع

فيمن طفّل[1] على عهد الرسول ﷺ

.. فإن أذِنتَ وإلا رجع !!

[١] عن أبى مسعود رضى الله عنه قال :

كان فينا رجل يقال له : أبو شُعَيْب ، وكان له غلامٌ لحّام ، فقال لغلامه : اجعل لى طعاماً ؛ لعلّى أدعو النبىّ ﷺ خامسَ خمسةٍ ، فتبعه رجل ، فقال النبى ﷺ للرجل : «**إنك دعوتنى خامسَ خمسةٍ ، وإن هذا تبعنا ، فإن أذنت ، وإلا رجع !!**» .

قال : بل آذن له[2] .



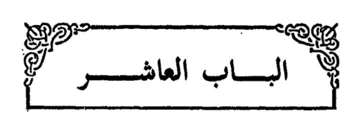
(١) طَفَّلَ الرجل : صار طُفَيْلِيًّا . وهو الذى يذهب إلى وليمة دون أن يُدْعى إليها . كما سبق ذكره فى أول الكتاب .
ومصدره : «التطفيل» الذى جعله المؤلف فى عنوان كتابه هذا ؛ فإن مصدر فَعَّل ـــ كما يقول النحاة : «التَّفعِيل» .
تقول : فى قدّس : التقديس ، وفى عظّم : التعظيم ، وفى طفّل : التطفيل .

(٢) الحديث الذى أخرجه الشيخان والترمذى عن أبى مسعود الأنصارى ـــ رضى الله عنه ـــ قال : كان رجل من الأنصار يقال له : أبو شعيب ، وكان له غلامٌ لحّامٌ ، فرأى النبى ﷺ فعرف فى وجه الجوع . فقال لغلامه : ويحك ! اصنع لنا طعاماً لخمسة نفر ؛ فإنى أريد أن أدعو رسول الله ﷺ خامسَ خمسة . فدعا رسول الله ﷺ خامسَ خمسةٍ ، فاتّبعهم رجلٌ ، فلما بلغ الباب؛ قال ﷺ : «**إن هذا اتّبَعَنا ، فإن شئت تأذن له ، وإن شئت رجع . قال : بل آذن له يارسول الله**» . انظر صحيح البخارى (٧/٢) ، مسلم (١٦٠٨/٣) .

الباب العاشر

فيمن حَمِد التطفيل ، واحتَجّ لأهله وذكَرَهم بالجميل

- من بنو طفيل هؤلاء ؟!
- الجذور !
- الداخل إليها لص والخارج مُغِير !!
- هٰهنا .. هٰهنا ... دعوة من أصحاب الدور .
- أبو نُواس والخصيب .
- حرمة الطفيلى وحرمة الندامى .
- ياللذة التطفيل دُومى !!



الباب العاشر

(فيمن حمد التطفيل ، واحتج لأهله ، وذكرهم بالجميل)

هؤلاء والله قوم كرام :

قال الأصمعي[1] : سمع أعرابي قوما يذكرون الطفيليين ؛ فقال : من بنو طُفَيْل هؤلاء ؟

فقيل : قوم كرام يأتون الطعام من غير أن يُدْعَوْا إليه !

فقال : هؤلاء ــ والله ــ قوم كرام !

الجــذور !!

وقال على بن الحسن الجَلاّب :

قال رجل لأبيه ــ وكان يتطفَّل : ياأبت ! أما تستحى من التطفيل ؟!

قال : وما أنكرتَ منه ؟

فقد طَفّل بنو إسرائيل فقالوا :

﴿أنزل علينا مائدة من السماء﴾[2]

---

(١) الأصمعي : أبو سعيد عبد الملك من مشاهير اللغويين عند العرب ، ولولاه لكنا فقدنا الكثير من دواوين العرب وأشعارهم .

(٢) الآية ١١٤ من سورة المائدة . حيث قالوا لنبيهم : ﴿هل يستطيع ربّك أن ينزل علينا مائدة من السماء﴾ أما عيسى ــ عليه السلام ؛ فقد قال لهم : ﴿اتقوا الله إن كنتم مؤمنين﴾ : [١١٢/ المائدة] .
ولكنهم ــ كعادتهم ــ استمروا فى الطلب قائلين : ﴿نريد أن نأكل منها وتطمئن قلوبنا﴾ [١١٣/ المائدة]
فلم يجد عيسى ــ عليه السلام ــ أمام إلحاحهم مناصا من سؤال ربه قائلا : ﴿اللهم ربنا أنزل علينا مائدة ..﴾ الخ الآية . فلزم التنويه ، حيث جاءت عبارة المصنف غير دقيقة !!

الداخل إليها لصّ والخارج مُغِير !!

وقال أحمد بن الحسن المقرى :

قيل لبنْان[1]: مَنْ دخلَ إلى طعامٍ من غير أن يُدْعَى إليه دخل لصاً ، وخرج مُغِيراً !!

قال : ما آكله إلا حلالاً .

قيل له : وكيف ذلك ؟

قال : أليس يقول صاحبُ الوليمةِ للخباز :

زِدْ فى كلِّ شئ ؟!!

وإذا أراد أن يطعِمَ مائةَ قال :

قَدِّر لِمائةٍ وعشرين؛ فإنه يجيؤنا من نريد ومن لا نريد، وأنا ممن لا يريد !!

هٰهنا .. هٰهنا دعوة من أصحاب الدار :

وقال محمد بن سعيد : قلت لطفيلىّ مرة

ويلَك ! تأكل حراما ؟!!

قال : ما أكلت إلا حلالا !

قلت : وكيف ذلك ؟

قال : لأنى إذا دخلت دار القوم ، قصدت باب النساء ، فيقولون .

هٰهنا .. ههنا !!

فقولهم هذا دعوة !! ؛ فما آكل إلا حلالا .

أبو نُوَاس والخصيب !

وعن ابن يزيد قال :

حدثنى سيدى ابن صدقة قال :

---

(١) بنان هو عبد الله بن عثمان. كان أصله مروزيا ، وهو بغدادى الدار . وتضم كتب الأدب أخبار تطفيله ، وقد نقش على خاتمه : «مالكم لا تأكلون» .

كنّا على سطح نُغنّي بمصر ، ومعنا رُفْقَةٌ يريدون الخصيب[1] ، فدعا أبو نُوَاس[2] بدواة ، وكتب إلى الخصيب :

قد استَزَرْت[3] عُصْبةً فَأَقْبَلُوا ... وعُصْبةً لم تَستَزِرهُمْ طَفّلُوا[4]
رَجَوْكَ فى تَطفيلهم وأقبلوا ... وللرجاء حُرمةٌ لا تُجْهَلُ
قابِلْهُمُ خيراً فأنت الأفضلُ ... وافعلْ كماَ كنتَ قديماً تفعَلُ

حُرمة الطُّفَيْليّ وحُرْمة الندامى :

وقال ظفر بن عبد الله الهروى :

إنّما الطفيليُّ له حُرْمةٌ ... زادت على حُرْمة نُدْمانى[5]
لأنه جاء ولم أدْعُهُ ... مُبْتَدِئًا فيه بإحْسَانِ
مائدة للناس منصوبةٌ ... فليأتها القاصى مع الدانى[6]
أحْبِبْ بمَنْ أنساه لا من قالا ... هو يجنبى ليس ينسانى

يالذّة التطفيل دومى !!

وقال الوليد بن مَعْن الموصلى[7] :

لذّةَ التطفيلِ دومى ... وأقيمى لا تريمى
أنتِ تشفين غليلى ... وتسلين همومى

---

(١) الخصيب بن عبد الحميد أمير مصر على الخراج .

(٢) أبو نُواس هو الحسن بن هانئ ، ولد بالأهواز فى أوائل العقد الخامس من القرن الثانى للهجرة . رحل إلى مصر ومدح الخصيب أملا فى نواله .

(٣) استزرت : دعوتهم لزيارتك .

(٤) طفّلوا : دعَوْا أنفسهم .

(٥) النّدْمان : جمع نديم ، وهو المجالس على الشراب . والمسامر حيث يحلو الحديث ليلا .

(٦) القاصى البعيد ، والدانى القريب . أى فالدعوة موجهة للجميع .

(٧) وقال الوليد بن معن الموصلى : قال الحافظ المؤرخ الخطيب البغدادى إنه قال : أُنْشِدْتُ لبعضهم ، وهذا يتفق مع الخبر الآتى عن «بنان» أنه أنشد هذين البيتين ومعهما سبعة أخرى بعدها .

ومما ينسب لبنان :

لـــذةَ التطفيـــلِ دُومــــى ... لا تَرِيمِـــى[1] وأقيمـــى

أنـــتَ تشـفينَّ سِقَامِـــى ... وتجليـــــن همومـــى

يا صَفِــىَّ النّفْـــسِ يَـــا ... خَيْـــرَ جَليـــسٍ ونَدِيـــم

قـل إذَا مَـا جِئْـتَ قومـاً ... زَائِـــراً : قولَ حَليـــم

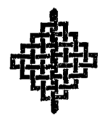
قـد أتيناكــم بحســن الظـ ... نّ والــــودّ القَدِيـــم

مـا نخـافُ الرّدَّ والحِرْمَـا ... نَ إلاّ مِــــنْ لَئِيـــم

نحـــن قَـــوْمٌ وَهَـب اللّـ ... ـهُ لنـا فَضْــلَ الحُلُــومِ[2]

قـد بَلَوْنـا النّــاس مــا ... جَاهِــلُ أمْــرٍ كعَلِيـــم[3]

لَيْـــتَ مَــنْ لاَمَ على التّطفـ ... ـيـلِ فى نــارِ جَحِيـــم



---

(١) لا تريمي : لا تزولى ، ولا تبعدى ، وإذا كان النهى عن الشئ أمر بضده ، فقد أمرها أن تقيم وتستمر .

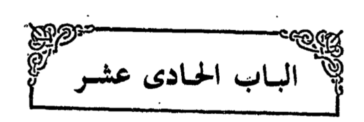
(٢) الحُلُوم : الحِلْم ضِدّ الطيش ، وجمعه أحلام ، وحُلوم . وقد يُقابل به الجهل والسّفه ، ويُراد به الصّبر والأناة والسكون مع القدرة والقوة ، ويُراد به العقل أيضا ، وفضل الحُلُوم : مزيد حكمة وعقل .

(٣) بلونا الناس : اختبرناهم وجربناهم .

الباب الحادى عشر

فى التغليظ على من أتى طعاماً لم يُدْعَ إليه

- من دعى فلم يجب !
- إتيان طعام الصديق .
- وصية بعض الحكماء لبنيه ..
- أحق الناس بلطمة ، أو ثنتين ، أو ثلاث !!
- من نوادر الأضياف !



الباب الحادى عشر

(فى التغليظ على من أتى طعاماً لم يُدْعَ إليه)

من دُعِيَ فلم يُجِبْ :

[١] عن عبد الله بن عمر ــ رضى الله عنهما ــ قال : قال رسول الله ﷺ :

« من دُعِي فلم يُجِب ، فقد عصى اللهَ ورسولَه .. ومن دخل على غير دعوة دخل سارقًا وخرج مُغيراً »(١) .

[٢] وعن نافع عن ابن عمر ــ رضى الله عنهما ــ قال :

قال رسول الله ﷺ : **«من دُعِيَ فلم يُجِبْ ، فقد عَصَى اللهَ ورسولَه ، ومن دخل على غير دعوة خرج مغيرا »**(٢) .

[٣] وعن نافع عن ابن عمر ــ رضى الله عنهما ــ قال : قال رسول الله ﷺ :

«الوليمة حَقٌ ، فمن لَم يُجب ، فقد عصى اللهَ ورسولَه ، ومن دخَلَ على غير دعوةِ دخل سارقًا ، وخرج مغيراً »(٣) .

[٤] وعن عائشة ــ رضى الله عنها ــ قالت : قال رسول الله ﷺ :

---

(١) أخرجه أبو داود فى سننه كتاب الأطعمة حديث (٣٧٤١) وقال : فيه أبان بن طارق مجهول ، والسيوطى فى الجامع الصغير حديث (٥٥٨٩) وضعفه الألبانى .

(٢) والمغير : الناهب . لكن روى مسلم عن أبى هريرة ــ رضى الله عنه ــ قال : «إذا دُعِيَ أحدكم فلْيجب ، فإن كان صائما فلْيُصَلِّ ، وإن كان مُفْطِراً فَلْيَطْعَمْ» . قال الإمام النووى : قال العلماء : معنى فليُصَلِّ : فليدْعُ ، ومعنى فلْيَطْعَمْ : فليأكل .

(٣) وهذا الحديث والذى قبله ثلاثتها مروية عن ابن عمر الأول تفرد بروايته أبان بن طارق عن نافع مولى ابن عمر ، والثانى محمد بن سعيد والثالث الصَّلت وقد جاء فى تيسير الوصول إلى جامع الأصول : عن ابن عمر ــ رضى الله عنهما ــ قال : قال رسول الله ﷺ : «أجيبوا هذه الدعوة إذا دعيتم» .

ثم قال : «وكان ابن عمر يأتى الدعوة فى العرس وغيره وهو صائم» [أخرجه الخمسة إلا النسائى]

وفى أخرى لأبى داود : «من دعى ولم يجب فقد عصى اللهَ ورسولَهَ ومن دخل على غير دعوة دخل سارقا وخرج مغيرا» . انظر كتاب الأطعمة باب ما جاء فى إجابة الدعوة رقم (٣٧٢٣) .

«من دخل على قوم لطعام لم يُدْعَ إليه فأكل دخل فاسقا وأكل حراما» .

[٥] وعن ابن عمر — رضى الله عنهما — قال : قال رسول الله ﷺ :

«من جاء إلى طعام لم يُدْعَ إليه ، فأكل دخل عاصيا ، وأكل حراما ، وخرج مسخوطاً عليه» .

[٦] وعن ابن عباس — رضى الله عنهما — قال : **«من دُعى فلم يُجِبْ فقد هدم سهما من سهام الإسلام ، ومن دخل إلى طعام من غير أن يُدْعَى إليه دخل فاسقًا وأكل سحتا»**[(١)] .

وقال محمد بن عبد الله[(٢)] بن الحكم :

كنا عند الإمام الشافعى — رضى الله عنه — فدخل عليه من أعوان الشرطة ، وبين يديه طبق تمر قال :

فجاء إلى الطبق ، فأكل ما فيه حتى أتى على آخره ! ثم قال : ياأبا عبد الله ! أَيْش[(٣)] عندك فى طعام الفُجَاءة ؟

فقال : كان ينبغى أن يكون سؤالك هذا والتمر فى موضعه[(٤)] .

إتيان طعام الصديق :

قلت : إذا كان للرجل صديق قد تأكدت صحبته به ، وثبتت مخالصته[(٥)] له ، فقد رُخّصَ له فى إتيان طعامه من غير أن يدعوه إليه ، إذا علم أنه يؤثر ذلك ، فيشتهيه ، ولا يكرهه ، بل يرغب فى ذلك .

---

(١) الأحاديث ٤ ، ٥ ، ٦ ذكرها الخطيب البغدادى فى كتابه التطفيل بسنده . وحديث عائشة رواه أبو نعيم الحافظ (١٦٧/٧) فى الحلية ، وانظر جمع الجوامع للسيوطى ص ٧٧٦ وعزاه لابن النجار .

(٢) محمد بن عبد الله بن الحكم (١٨٢ — ٢٦٨ هـ) — (٧٩٨ — ٨٨٢م) المصرى أبو عبد الله فقيه عصره ، انتهت إليه الرياسة فى العلم بمصر ، له كتب كثيرة منها : «الرد على الشافعى» و «أحكام القرآن» و «رد على فقهاء العراق» الأعلام .

(٣) أَيْش عندك ؟ أى شئ لديك فى الطعام الذى يفاجأ به الإنسان ، ولا يجد فرصة ليتعرف مصدره ، أمن حلال هو ، أم من حرام ؟! وأيش : عربية .

(٤) وكم كان جميلا من الشافعى أن يُلفته إلى أنه كان ينبغى له أن يسأل قبل أن يأكل التمر من الطبق .

(٥) مخالصته : إخلاصه ، وسماحته .

الأصــــل فــى ذلــك :

والأصل فى ذلك ما روى عن أبى هريرة ـــ رضى الله عنه ـــ قال : «خرج رسول الله ﷺ فى ساعة لا يخرج فيها ، ولا يلقاه فيها أحد ، فأتاه أبو بكر ـــ رضى الله عنه ـــ فقال : ما أخرجك ياأبا بكر ؟ قال : خرجت للقاء رسول الله ﷺ ، والنظر فى وجهه ، والسلام عليه ، فلم يلبث أن جاء عمر ـــ رضى الله عنه ـــ فقال : ما أخرجك ياعمر ؟ فقال : الجوع . قال : وأنا وجدت مثل الذى تجد ، انطلقوا بنا إلى بيت أبى الهيثم بن التيهان الأنصارى وقد كان رجلاً كثيرَ النخل والشاه ..»وساق بقية الحديث[1] .

والتغليظ الوارد فى الحديث محمول على إتيان طعام غير الصديق وصاحبه كاره لذلك .

وصية بعض الحكماء لبنيه :

ومما يُرْوى عن بعض الحكماء فى وصيته لبنيه :

اجتنبوا ثمانَ خِصالٍ ، فمن تعاطى منكم شيئا منهن فأهين ، فلا يلومَنّ إلا نفسه :

(١) المحدِّثُ لا يُنْصَتُ له !

(٢) والمدخلُ نفسه فى سرٍّ بين اثنين لم يُدْخلاه فيه !

(٣) والجالسُ المجلسَ لا يستحقه !

(٤) وآتى الدعوةَ لم يُدْعَ إليها !

(٥) والملتمسُ الفضلَ من أيدى اللئام !

(٦) والمتعرض للخير من يدى عدوّه !

(٧) والمتكلف ما لا يعنيه !

(٨) والمتحمق[2] فى الدالّة !

---

(١) أخرجه الخطيب البغدادى بسنده عن أبى هريرة ، والمنذرى عن ابن عباس ، وقال رواه الطبرانى وابن حبان فى صحيحه كلاهما من رواية عبد الله بن كيسان عن عكرمة عن ابن عباس مع اختلاف فى اللفظ . وذكر أبى أيوب الأنصارى بدلا من أبى الهيثم بن التيهان .

(٢) المتحمق فى الدالة من يسىء استخدام صلته بغيره مما يجعله بغيضا غير مرغوب فيه .

ورُوى هذا الحديثُ أيضا بعينه عن ابن عمر عن والده ـــ رضى الله تعالى عنهما[1] .

أحق الناس بلطمة أو أكثر :

وعن بكر بن عبد الله قال : أحقُّ الناس بلطمةٍ : من أتى طعاماً لم يُدْعَ إليه .

وأحق الناس بلطمتين : من يقول له صاحب المنزل : اجلس هٰهنا .

فيقول : لا ؛ بل أجلس هٰهنا !

وإن أحق الناسِ بثلاث لطمات من دعى إلى طعام فقال لصاحب المنزل :

ادعُ ربَّةَ البيت تأكل معنا !!

قلت : والضيف إذا أطال الثواء[2] عند مُضيفه ؛ حتى يُخْرجه ويشق عليه ؛ كان بمنزلة المتطفل .

الأصل فى ذلك :

والأصل فى ذلك ما رُوى عن الخُزاعى[3] ـــ رضى الله عنه ـــ أن النبى ﷺ قال :

«من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلْيحُسِن إلى جاره ، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليُكرم ضيفه ، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر ، فليقل خيراً ، أو ليسكت» .

وفى رواية أخرى عن الخزاعى عن النبى ﷺ : أنه قال :

من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه ، وجائزته يوم وليلة» .

«والضيافة ثلاثة أيام ، ولا يحل أن يَثوى عنده حَتى يحرجه فما أنفق عليه بعد

---

(١) أخرجه الخطيب البغدادى بسنده عن سعيد بن المسيب عن ابن عمر قال : سمعت أبى عمر بن الخطاب يقول : ثمانية رهط إن أهينوا فلا يلومُنّ إلا أنفسهم : الآتى مائدة لم يدع إليها ، والمتعرض لفضل اللئام .. وذكر تمام الحديث انظر كنز العمال برقم (٤٤٣٦٦) .

(٢) الثواء : الإقامة (٣) عن الخزاعى : أبى شريح العدوى . والحديث أخرجه البخارى فى صحيحه (كتاب الإيمان) باب الحث على إكرام الجار ومسلم فى صحيحه (كتاب الإيمان) باب الحث على إكرام الجار حديث رقم ٧٥ .

ذلك فهو صدقة»[1] .

وقال الصّفّار : بعد ثلاث صدقة .

من نوادر الأضياف :

● وقال الكوكبى :

ضاف رجل قوما فكرهوه ؛ فقال الرجل لامرأته : كيف لنا بمقدر مُقامه[2] ؟!

قالت : ألْقِ بيننا شرّاً حتى نتحاكم إليه ؛ ففعلا[3] !

فقال صاحب المنزل للضيف :

بالذى يبارك لنا فى غدّوك[4] ــ أينا أظلم ؟! فقال الضيف : والذى يبارك لى فى مُقامى عندكم شهرا لا أعلم !!

ذراعان إلى داخل خير من أربعة إلى خارج :

وقال الزّبير بن بكار[5] : حدثنى عمى قال :

---

(١) جاء فى تيسير الوصول إلى جامع الأصول : عن أبى هريرة ــ رضى الله عنه ــ قال : قال رسول الله ﷺ : «**الضيافة ثلاثة أيام فما سوى ذلك فهو صدقة**» أخرجه أبو داود .

والجائزة : العطية . قال الإمام مالك : يكرمه ، ويتحفه ويخفضه يوما وليلة ، ويضيفه ثلاثة أيام .

وقد ذكر صاحب تيسير الوصول الحديث الذى أخرجه الستة إلا النسائى عن أبى شريح العدوى ــ رضى الله عنه ــ بلفظ : قال رسول الله ﷺ : «**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفهُ جائزته . قالوا : وما جائزته يارسولَ الله ؟ قال : يومه وليلته ، والضيافة ثلاثة أيام ، وما وراء ذلك فهو صدقة ، ولا يحل لهُ أن يقيم عنده حتى يؤثِمه . قالوا : كيف يؤثمه ؟ قال : يقيم عنده وليس له شئ يقريه به**» . ويؤثمه : يوقعه فى الإثم . والحديث أخرجه البخارى فى صحيحه كتاب الأدب : إكرام الضيف وخدمته إياه بنفسه ، ومسلم فى صحيحه كتاب اللقطة : باب الضيافة ونحوها حديث ١٤ ، وفى كتاب الإيمان : باب الحث على إكرام الجار والضيف ولزوم الصمت ، وابن ماجه فى سننه كتاب الأدب : باب حق الضيف ، وأحمد فى مسنده (٣/٧٦ ، ٣٣٩) ، (٥/ ٢٤ ، ٢٦١) ، والحاكم فى مستدركه (٤/١٦٤) .

(٢) مُقَامه : بمعنى إقامته . وهو يسائل زوجته . كيف نعرف مدة إقامته عندنا بعدما أطال الضيافة ومتى يرحل ؟

(٣) أظهر أمامه أنك تنازعنى وتخاصمنى فى أمر حتى نطلب منه أن يحكم بيننا .

(٤) غدوك : رحيلك غدا مبكرا .

(٥) الزبير بن بكار (١٧٢ ــ ٢٥٦ هـ = ٧٨٨ ــ ٨٧٠ م) عالم بالأنساب ، وأخبار العرب راوية نبيل من أحفاد الزبير بن العوام ، ولد فى المدينة ، وولى قضاء مكة ، فتوفى فيها . له تصانيف منها : «أخبار العرب وأيامها ، وله مجموع فى الأخبار ، ونوادر التاريخ سماه : «**الموفقيات**» منه أربعة أجزاء (١٦ ، ١٧ ، ١٨ ، ١٩) ألفه للموفق بن المتوكل العباسى ، وكان يؤدبه فى صغره .

نزل بعض أهل البصرة على مَدَنِيّ : وكان صديقا له ، فألحّ على المدنى بطول المقام !

فقال المدنى لامرأته : إذا كان غداً ، فإنى أقول لضيفنا : كم ذراعا تقفز ؟!

فأقفز أنا من العتبة إلى باب الدار ؛ فإذا قفز الضيف أغلقى خلفه الباب !

فلما كان من الغد ، قال له المدنى :

كيف قفزك يا أبا فلان ؟!

قال : جَيِّد .

قال : فوثب المدنى من داخل منزله إلى خارج أذرعًا ،

وقال للضيف : ثِبْ[1] أنت .

فوثب إلى داخل الدار ذراعين . فقال له :

أنا وثبت إلى خارج الدار أذرعاً ، وأنت وثبت ذراعين إلى داخل الدار .

قال : ذراعان إلى داخل خير من أربعة إلى خارج !!



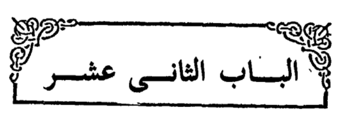
---

(١) فعل أمر من وثَبَ : أى اقفز ومثله كل فعل واوى الفاء مثل وزن ـــ وعد تقول : زِن وعِدْ . ويسمى «مثالا» .

الباب الثاني عشر

فيمن عرّض بالتطفيل ولم يُصَرّح

- أبو هريرة يلمح بالتطفيل .
- آتنا غداءنا .
- متى أحصل عندك ؟
- لو تراني وقد وقفت أروى !
- صنعة التطفيل !!



الباب الثاني عشر

(فيمن عرّض بالتطفيل ولم يُصرّح[1])

أبو هريرة يلمح بالتطفيل :

[١] عن أبى هريرة ـــ رضى الله عنه ـــ أنه قال :

«كنت ألزم النبى ﷺ لشبع بطنى حين لا آكل الخمير ، ولا ألبس الجديد ، ولا يخدمني فُلان ، ولا فُلانة ، وأُلصِقُ بطنى بالحصى ، وأستقرئُ الرجلَ الآية ، وهى معى ، كى ينقلبَ بى فيطعمنى[2] !» .

[٢] وعن أبى هريرة أيضا ـــ رضى الله عنه ـــ قال :

إن كنت لأسأل زائدة الرجلَ من أصحاب رسول الله ﷺ عن الآيات لأنا أعلمُ بها منه ، لا أسألُه إلا ليُطعِمَنى شيئا . قال : فكنت إذا سألت جعفر بن أبى طالب ، لم يُجِبْنى حتى يذهبَ بى إلى منزله ، فيقول لامرأته : يا أسماء ! ، أطعمينا ، فإذا أطعمنى أجابنى .

وكان جعفر ، يُحِبّ المساكين ، ويجلس إليهم ، ويحدثهم ، ويحدثونه[3] .

[٣] وعن أبى هريرة ـــ رضى الله عنه ـــ أيضا قال[4] :

أصابنى جَهد شديد ؛ فلقيت عمر بن الخطاب – رضى الله عنه ـــ فاستقرأته آيةً من كتاب الله تعالى ، فدخل داره ، وفتحها علىَّ ، فمشيت غير بعيد ؛ فخررت لوجهى من الجَهْد ، فإذا رسول الله ﷺ قائم على رأسى فقال :

---

(١) يقال عرّض له بالقول : لم يبينه ، ولم يصرح به ، كما تقول : ألمح إليه من بعيد ، وكل لبيب بالإشارة يفهم .

(٢) فنراه هنا يعرّض بالتطفيل حيث كان يلزم النبى ﷺ لشبع بطنه ، ويستقرئ الرجُلَ الآية **«يطلب منه أن يُقرئها ويُعَلّمَه إياها»** مع أنها معه ؛ ليعود به إلى بيته فيطعمه ، والحديث أخرجه الخطيب البغدادى بسنده ، ورواه البخارى فى صحيحه كتاب الأطعمة : باب الحلواء والعسل (٢٩٨/٣) .

(٣) أخرجه الخطيب البغدادى بسنده عن المقبرى عن أبى هريرة ، والترمذى فى سننه كتاب المناقب : باب مناقب جعفر بن أبى طالب ، وقال أبو عيسى : هذا حديث غريب .

(٤) أخرجه الخطيب البغدادى بسنده عن أبى نُعيم .

«ياأبا هريرة ! ؛ فقلت : لبيك يارسولَ الله ، وسَعْدَيك[1] !! قال : فأخذ بيدى ، فأقامنى ، وعرفَ الذى بى ، فانطلق بى إلى رَحْله[2] ، وأمر لى بعُسٍّ من لبن ، فشربت منه ثم قال : عُدْ ياأبا هريرةَ ، فعدت ، فشربت ، ثم قال : عُدْ ياأبا هريرة ، فعُدْت فشربت حتى استوى بطنى ، فصار كالقدح ، ورأيت عمر — رضى الله عنه — فذكرت له الذى كان من أمرى ، قال : قلت له : قولى ذلك : من كان أحق به منك ياعمر !!

والله لقد استقرأتك الآية ، وأنا أقرأ لها منك !

فقال عمر — رضى الله عنه — لأن أكون أدخلتُك أحبّ إلىّ من حُمْر[3] النَّعَم» .

آتنا غداءنـــا :

وقال أبو حاتم : خرج بعضهم يعود مريضا فى أقاصى الكوفة ، فلقيه أبو حنيفة ، وأبو بكر الهذَلىّ ، فقالا له : إلى أين تريد ؟ قال : أعود فلاناً ، فقالا : نعوده[4] معك . فتبعاه إلى المريض ، ليعوده ، فقال أبو حنيفة لأبى بكر : إذا قعدنا فعرّض له بالغداء ! .

فلما دخلوا ، وتحدثوا ، قال أبو بكر :

﴿آتنا غداءَنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا﴾[5]

ففطن المريض ، فتمطى وقال :

﴿ليس على الضعفاء ولا على المرضى ...﴾[6] الآية

---

(١) لبيك : لزوماً لطاعتك ، أو إلباباً بعد إلباب ، أى : إجابة بعد إجابة . أو معناه : اتجاهى إليك ، وقصدى وإقبالى على أمرك .

وهو مصدر ثنى على معنى التأكيد ، ومثله : سعديك : أى إسعاداً لك بعد إسعاد .

(٢) الرّحل : مسكن ، وما يستصحبه من الأثاث .

(٣) حمر النّعم : أكرم الجمال . والحديث أخرجه البخارى فى صحيحه كتاب الأطعمة : باب قوله تعالى : ﴿كلوا من طيبات ما رزقناكم﴾ (٢٩٠/٣) .

(٤) نعوده : نزوره .

(٥) الكهف/ ٦٢ .

(٦) التوبة / ٩١ . وفى الآية ما يدفع الحرج عنه إذا هو لم يقدم لهم غداءً .

فقال أبو حنيفة : قوموا بنا ؛ فما عند صاحبكم خير[1] !!

متى أحصل عندك ؟!

قال محمد العتكَى : لقينى أحمد بن سعيد الطائى الكاتب بدمشق ، فقال لى : اقْتَصَدْت ، فكتبت إلى أبى يعقوب الطائى هذين البيتين ، فاستمع بما أجابنى :

كتبت إليه :

حَجَب الرّحمنُ عَنّى يا أبَا يَعقوبَ فَقْدَك
أىُّ أُنْسٍ كانَ لى مِنـك إذا ما كُنْتُ عِنْدك ؟!

فأجابنى :

أبَداً تَحْصُلُ عِنْدى فمتى أحْصُلُ عندك ؟!
إن تناصفنا وإلا بِتَّ يا طائىّ وحدك

لو ترانى وقد وقفت أروى !!

وأنشد أبو الحسن الأسدى لنفسه :

كنتُ يا سيّدى على التطفيل أمْسى لولا مخافةُ التّثقيلِ
وتذكرْتُ دهشةَ القارعِ البا بَ إذا ما أتى بغير رسولِ
وتخوّفْتُ أن أكونَ عَلى القَوْ مِ ثَقِيلا فقَدْتَ كلّ ثَقِيلِ
لو تَرانى وقد وقفْتُ أرْوى فى دخولٍ إليك أو فى خُلُولِ
لرأيت العذراء حين تُحَيَّا وهى من شهوة على التعجيل

صناعة التطفيل :

وعن هبة الله بن مسرة الشاعر قال :

اجتزت أنا وأبو الفضائل إبراهيم بن أحمد الأنطاكى بباب «رشأ» غلام الخالدى

(١) ومن يتأمل يجد أن هذا ليس تعريضا ، ولكنه تصريح . وما ذكره الخطيب البغدادى أدق ؛ حيث روى الحكاية قائلا : فلما دخلوا عليه ، وتحدثوا تلا أبو بكر الهُذَلِىّ : ﴿ولنبلونكم بشىء من الخوف والجوع ..﴾ [البقرة / ١٥٥] وفى معرض الابتلاء ، بالمرض وغيره يرد التطفيل تلميحا لا تصريحا بذكر نوع من الابتلاء وهو الجوع !!

الشاعر ؛ فقال أبو الفضائل : لهذا الرجل قد ورد معه من العراق ، فما ترى فى . النزول به ، والتعرض لاستماعه ؟! فقلت : على شرط ألاّ أسأله ذلك ، وأنت تتولّى خطابه .

فنزلنا عنده ، وأفضنا فى الحديث ، وعَرّض أبو الفضائل باستدعاء الطعام والشراب حرصا على السماع ، فلم يجبه إلى ذلك !! ، واحتج بمعاذير اللئام ، فانصرفْنَا عنه .

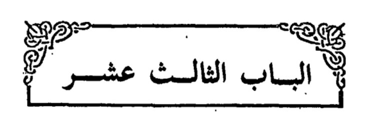
قال أبو على فأنشدنى فى ذلك يخاطب أبا الفضائل :

خَفِيتْ عليكَ منازِلُ التطفيل	فنَزَلْتَ من «رَشَأٍ» بشرٍّ نَزِيلِ
وطرقته فطرقتَ ذِئْباً أطْلساً	أوحَيّةً صَمّاءَ ذاتَ صَلِيلِ
فرقيتَه وقَرَأْتَ كُلَّ صَحِيفَةٍ	حتى قرأتَ صحيفةَ الإنجيلِ
وزعمتَ أَنّ أباهُ من عُظَمائهم	يُومِى إلى «تُوفِيلَ» أو «مَنْوِيلِ» .
حتَّى خشيتُك أن تُقبِّلَ كفّه	حُبّ الرّجَاء ، وطاعة التّأمِيل
أسفى، عليكَ وقد أرَقْتَ صبابَةً	من ماء وجهك فى سؤال بخيل
فوجدتَ طعم سؤالِه من لؤمِه	مُرّاً كطعم الحنظلِ المبلول
ولقيتَ دُونَ طعامه وشرابه	ردّاً كطعم الحنظلِ المبلول
أقبلتَ تُنْشِدُه وأُطْرَقَ مُعْرِضاً	إطراقَ ذُمّرٍ لطالبِ بدخولِ
حتى ظننْتُك قاتِلاً وظننْتُه	من فرط نَخْوَتِه ولِىَّ قتيل
وَكفلْتَ لى عنه بكلِّ كريمةٍ	ثم الثّنَيتَ وأنْتَ شرُّ كفيلِ
وأبَتْ عليك خلائقٌ خوزية	تأبى إذا ما قدتَها لجميل
هلاّ سألتَ عن الصناعة أهلَها	فيخبّروك بصنعة التطفيل
القومُ لا يَغْشَوْن إلا منزلاً	يغشى العيونَ دُخَانُه مِن ميلِ

البـاب الثالـث عشـر

فيمن أحبّ تطفيل غيره فسهل له السبيل إليه

- ما تقول ياأبا العباس فى الجوزَينج ؟
- أيهما أطيب ، اللوزينج ، أم الفالوذَج ؟
- ما تقول فى الحلوى ؟
- عندما يلتقى الفقهاء !



الباب الثالث عشر

(فيمن أحب تطفيل غيره فسَهّل له السبيل إليه !)

● ما تقول يا أبا العباس فى الجوزَيْنَج ؟!

قال المدينى : قال أبو بُرْدة لابن السماك :

ما تقول ياأبا العباس فى «جُوزَيَنْج»[1] رَقَّ قشره ، واشتدت عذوبته ، غريق فى سُكَّرٍ ودُهنِ لَوْز ؟!

فقال : يا أخى !

ما أشدّ الوصفَ إذا لم أرَمعه الموصوفَ !

فإن كان الذى وصفت إلينا حاضرا ، فمنظره أحبّ إلينا من وصفه !

وإن لم يكن حاضرا ، فليفتنا وصفه كما فاتنا منظره !!

● أيهما أطيب اللوزَيْنَج أم الفالوذج[2] ؟

حدّث أبو النضر الفقيه قال :

سمعت من يروى : أن الرشيد وبعض من يحضره من أهل بيته اختلفا فى الفالوذج واللّوزينج ، أيهما أطيب ؟

قال الرشيد : نسأل أبا الحارث ..

قال : فأحضروه ، فقال له : يا أبا الحارث !

ما تقول فى اللوزينج والفالوذج ، أيهما أطيب ؟!

فقال : يا أمير المؤمنين ! لا أقضى على غائب !!

قال : فأحضروهما إياه ؛ فجعل يأكل من «الفالوذَج» ساعة ، ومن اللوزَيْنج ساعة ، فقال له الرشيد :

أيهما أطيب ؟! اقض على أحدهما !

---

(١) الجوزَيْنج : ضرب من الحلوى يعمل من الجوْز ، شبه القطائف يؤدم بدهن اللوز . وقد سبق .

(٢) والفالوذج : ضرب من الحلوى يعمل من دقيق وسمن ولبن . وقد سبق .

فقال : يا أميرَ المؤمنين !

كلما أردت أن أقضيَ لأحدهما أدْلَى الآخر بحجته[1] !

● ما تقول فى الحَلْوى ؟

قال الحسن بن الصباح النسائى :

دخلت على جعفر بن محمد فقال لى :

ما تقول فى الحلوى ؟!

فقلت : لا أقضى على غائب !

فدعا بجامٍ[2] ، محكوك مخروط قوائمه منه[3] ، وفيه لوزينج معمول بالماورد الجوزى ، وباللوز المقشور ، والسكر الطبرزد[4] ملفوف بالعسل الأبيض ؛ إذا ما قلعت اللوزينجة سمعت لها صريراً كصرير النعل السندسى[5] ، فإذا أدخلتها فى فيك سمعت لها نشيشاً كنشيش الحديد إذا خرج من الكير[6] !

فقلت : ﴿وإلهكم إله واحد﴾[7]

فأطعمنى واحدة !

فقلت : ﴿إذ أرسلنا إليهم اثنين﴾[8]

فأطعمنى ثانية !

فقلت : ﴿فعزّزنا بثالث﴾[9]

فأطعمنى ثالثة !

فقلت : ﴿فخذ أربعة من الطير﴾[10]

---

(١) وتنسب هذه الحكاية إلى أبى يوسف القاضى الحنفى .

(٢) الجام : الإناء الزجاجى .

(٣) يريد أنه مصقول .

(٤) الطبرزد : المصقول من حوافيه ، وكنا نسميه «أقماع السكر» .

(٥) المراد : صوتا ناعما محبوبا .

(٦) النشيش : الصوت . والكير : ما يضع فيه الحداد قطع الحديد وينفخ فيه بمنفاخ حتى يزيد النار اشتعالا فيسهل عليه تشكيل الحديد وصياغته كما يريد . ويحدث صوتاً عند وضعه فى الماء .

(٧) البقرة : ١٦٣ .　　(٨) يس : ١٤ .

(٩) بقية الآية السابقة .　　(١٠) البقرة : ٢٦٠ .

فأطعمني رابعة !

قلت : ﴿**ولا خمسة**﴾[1] ، فأطعمني خامسة !

قلت : ﴿**إلا هو سادسهم**﴾[2] ، فأطعمني سادسة !

قلت : ﴿**سبع سماوات طباقا**﴾[3] ؛ فأطعمني سابعة !

قلت : ﴿**ثمانية أزواج**﴾[4] فأطعمني ثامنة !

قلت : ﴿**تسعة رَهْطٍ**﴾[5] ، فأطعمني تاسعة !

قلت : ﴿**عشرة كاملة**﴾[6] ، فأطعمني عاشرة !

قلت : ﴿**أحد عشر كوكبا**﴾[7] ، فأطعمني إحدى عشرة !

قلت : ﴿**إن عدة الشهور اثنا عشر شهرا**﴾[8] ، فأطعمني اثنتي عشرة !

قلت : ﴿**إن يكن منكم عشرون صابرون**﴾[9] ؛ قال : فرمى بالجام إليّ وقال : كل يابن البغيضة !

قلت : والله لو لم ترمِ بالجام إليّ لقلت :

﴿**وأرسلناه إلى مائة ألف أو يزيدون**﴾[10]

عندما يلتقي الفقهاء :

ويقرب من ذلك ما حكي أنه كان بعض الفقهاء جالساً في مجلسه ، وأحضر طيرا من الدجاج ليأكله ، وإذا بأربعة أنفارٍ من الفقهاء ، أقبلوا عليه ، وقصدوا أكل ذلك ، فلما رآهم ، وعلم مقصدهم ، قال في نفسه :

إذا لم أُدَبّر شيئا في هذا الأمر خسرت هذا الطير !! ثم قال لهم : إني طبخت هذا الطير لنفسي ، وحلفت بالله العظيم ما أمكن من أكله أحداً إلا بآيةٍ من القرآن

---

(١) المجادلة : ٧ .

(٢) بقية الآية السابقة .

(٣) الملك / ٣ .

(٤) الأنعام / ١٤٣ .

(٥) النمل / ٤٨ .

(٦) البقرة / ١٩٦ .

(٧) يوسف / ٤ .

(٨) التوبة / ٣٦ .

(٩) الأنفال / ٦٥ .

(١٠) الصافات / ١٤٧ .

العظيم[1] .

فقالوا له : أنصفت فيما قلت .

ثم وضع أحدهم يده فى رقبة الطير ، وقال :

﴿فكّ رقبة﴾[2] .

ثم وضع الثانى يده فى صدره ، وقال :

﴿ونزعنا ما فى صدورهم من غِلّ﴾[3] .

ثم وضع الثالث يده فى جناحيه ، وقال :

﴿ولا طائر يطير بجناحيه﴾[4] .

ثم وضع الرابع يده فى وَرِكيه ، وقال :

﴿والتفّت الساق بالساق﴾[5] .

قال : فعند ذلك بُهتَ الفقيه صاحب الطير ، وتعجب فى الأمر ، ثم وضع يده فيما بقى وقال : **﴿وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت﴾**[6] .

اذهبوا ! ؛ لا بارك الله فيكم !!

---

(١) ونجد كثيرا من أمثال هذه النوادر فى أمهات كتب الأدب حيث كانت الصنعة تغلبهم على ألسنتهم فينطقون بما حفظوا من آى القرآن ، وهو منهم موضع التكريم والإجلال .

ومن ذلك : قيل لطفيلى : أى سورة تعجبك ؟ قال : المائدة . قيل فأى الآية ؟ قال : **﴿ذرهم يأكلوا ويتمتعوا﴾** ، قيل : ثم ماذا ؟ قال : **﴿آتنا غداءنا﴾** . قيل : ثم ماذا؟ قال : **﴿ادخلوها بسلام آمنين﴾** . قيل : ثم ماذا ؟ قال : **﴿وما هم منها بمخرجين﴾** .

(٢) البلد ١٣ .

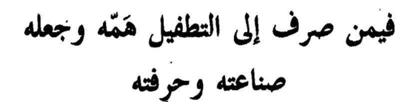
(٣) الأعراف / ٤٣ .

(٤) الأنعام / ٣٨ .

(٥) القيامة / ٢٩ .

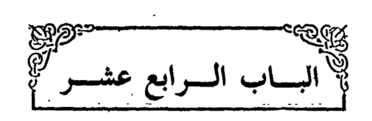
(٦) البقرة / ١٢٧ .

الباب الرابع عشر



فيمن صرف إلى التطفيل هَمّه وجعله صناعته وحرِفته

- أبو مالك وصبِيّانه .
- دعاء رئيس الطفيليين ونصيحة .
- مدى علم طفيلى بكتاب الله .
- خاتم طفيلى وماذا نقش عليه ؟
- خير البقاع عند طفيلى .
- سـر صفـرة وجهـه !
- لا مكان للحب فى قلبه !
- نصائح لهواة الأكل على الموائد .
- ماذا يحسن الطفيلى ؟
- كيف يحسب ؟



الباب الرابع عشر

(فيمن صرف إلى التطفيل همّه وجعله صناعته وحرفته)

أبو مالك وصبيانه :

قال أبو عليّ (شعبة) : كان بالبصرة شيوخ طفيلية يلبسون الطيالسةَ الزرق[1] ، وكان فيهم شيخ يقال له : «**أبو مالك**» ينزل بسكة قُريش ، جاء إلى أبي عبد الله محمد بن إبراهيم بن إسحق فى «يوم سبْتٍ» بالعَشِيّ[2] : بعد العصر ، ومحمد بن إبراهيم جالس على بابٍ وله عُرْسٌ «يوم الأحد» لابنه حُسَين ، فنزل فسلّم عليه ، وبارك له ، وقال :

قد بلغني هذه المائدة التى هى لك فى غدٍ ؛ فأجيء إلى دارك ، وأدخل بإذنك ، وآكل ، و أُنْزِلُ الصّبيانَ مَعِى ؟!

فقال : نعم .

فلما كان من الغد ، جاء فدخل ، وأكل ، وأخذ من الطعام لصبيانه !

دُعاء رئيس الطفيلين ونصائحه !!

ومما يُحكى عن ابن عمرو أنه قال :

اجتمع قوم من الطفيليين ، فأرادوا وليمة ، فقال رئيسهم :

اللهم :

لا تجعل البواب لكازاً[3] فى الصدور !
دفّاعا فى الظهور !
طرّاحاً[4] للقلانس !

---

(١) الطيالسة جمع طيلسان ، وقد سبق بيانه .

(٢) العشى : الوقت من زوال الشمس إلى المغرب ، وقوله بعد العصر . تحديد تقريبى للوقت وبيان .

(٣) اللكاز : صيغة مبالغة من اللكز وهو الضرب بجُمع الكف فى الصدر .

(٤) القلانس : جمع قلنسوة . غطاء الرأس .

وهَـبْ لنا رأفته وبِشـره !
وسَهّـل لنـا إذنَـه !

فلم دخلوا تلقاهم الخباز، فقال رئيسهم :

غُرَّةٌ[1] مباركة ، موصول بها الخصب ! معدوم معها الجَدب[2] !

فلما جلسوا على الخوان[3] قال :

جعلك الله فى البركة كعصا
مُوسَى ..
وخُـوِان إبراهيـم ..
ومـائدة عيسـى ..

قال : ثم قال لأصحابه :

افتحـوا أفواهكـم .. !!
وأقيمـوا أعناقكـم .. !!
وأجيـدوا اللّـفّ .. !!
وأشـرعوا الأكُـفّ .. !!
ولا تمضغوا مضغ المتعللين الشّباع
المتخمين .
واذكروا سوء المنقلَب ، وخيبة
المضيطرب[4] !!

مدى علم طفيلىّ بكتاب الله !

وقال الكوكبى : حدثنى ابن صدقة قال :

قيل لطُفَيْلىّ مَرّةً : كيف علْمُك بكتاب الله ؟!

قال : أنا من أعلم الناس به..!

فقيل له : ما معنى قوله تعالى :

(١) الغرة : البياض فى جبهة الفرس ، وأول ما يطالعك من الشئ .
(٢) الجدب : القحط والجفاف .
(٣) الخوان : المائدة .
(٤) اضطراب الحال ، وحدوث ما لا تحمد عقباه .

﴿واسأل القرية التى كنا فيها﴾[1] ؟!

فقال : معناه : واسأل أهل القرية .

قيل له : وما الدليل على ذلك ؟

قال : هو كما تقول : «أكلت سُفْرة فلان» وإنما تريد : أكلت ما فيها .

شبيه هذا التفسير :

وقال بعض الطفيلية : سمعت أستاذى يقول فى قوله تعالى : ﴿ثم إن مرجعهم لإلى الجحيم﴾[2]

قال : الأكل من الحاصل !

وشبيه بهذا التفسير ما حكى عن أحمد بن عبد الله الحافظ أنه سمع أبا بكر بن المقرى يقول فى وصية الخِضر لموسى : «... ولا تكن مَشَّاءً فى غير حاجة !!» .

قال : لا تمش إلى موضع لا تمضغ فيه شيئاً .

خاتم طفيلى :

ونقش طفيلىّ على خاتمه :

﴿ألا تأكلون﴾[3] ؟!

خير البقــاع :

قاله : وقال طُفَيْلِىّ :

خير البِقَاع ثلاثة :

دكان الرّواس ، ودكان الشّوّاء ، ودكان الهرّاس[4] !

سِرّ صفرة وجهه !!

وقال الصّولى : قيل لطفيلىّ مرة :

---

(١) [يوسف / ٨٢] ويقول البلاغيون إنها من قبيل المجاز المرسل علاقته المحلية حيث أطلق المحل وهو القرية وأراد الحال فيها وهم أهلها .

(٢) [الصافات / ٦٨] .

(٣) بعض الآية ٢٧ من سورة الذاريات .

(٤) الروّاس : بائع الرءوس خُففت همزتها .

مالك أصفر اللون ؟

قال : من الفترة التى بين اللقمتين ؛ أخاف أن يكون الطعام قد نفد !!

لا مكان للحب !

وقيل لبعض الطفيليين :

أتحبّ أبا بكر وعمر ؟

قال : ما ترك الطعام فى قلبى حُبًّا لأحد !

نصائح غالية لهواة الأكل على الموائد !!

وقال بعض الطفيليين :

إذا كنت على مائدة ؛ فلا تتكلمنَّ فى حال أكلك ، وإن كلّمك مَنْ لابُدّ من جوابه ؛ فلا تجبه إلا بقول : نعم ؛ فإن الكلام يشغل عن الأكل ، وقول نعم : مضغة[1] .

أحب شىء إلى متطفّل :

وسئل عباس المتطفل :

أى شىء أحبُّ إليك ؟!

قال : دعوةٌ قريبة ، فى يوم مطير[2] !

طفيلىٌّ مضحك !

وقال محمد بن على الجلاب :

خرج طفيلىّ مع نفر فى سفر ، فهموا أن يُخْرِجَ كلُّ واحدٍ منهم شيئاً للنفقة ، فقال كل واحد منهم : عَلَىَّ كـذا !!

فلما بلغوا الطُّفيلىّ قال لهم : عَلَىّ .. وسكت !!

فقالوا له : فأىُّ شىءٍ عليك ؟

قال : .. لعنة الله !

---

(١) فكأن مضغة ضاعت عليك إن أنت قلت نعم ، فاحتفظ بالوقت ولا تضيعه فما الأكلة إلا مجموعة مضغات .

(٢) فيضرب عصفورين بحجر واحد . عدم المعاناة فى الذهاب ، وعدم حضور أحد يزاحمه !

فضحكوا منه ، وأعْفُوه من النفقة ، وحملوه طول سفرهم .

طفيليّ فى عرس :

وقال الحارث بن أبى أسامة :

سمعت المدائنى يقول : دخل طفيلىّ عُرْساً؛ فلما حضرت المائدة وقُدّمت المصلية[1] ، نظر إليها ثم قال : حكم الله بينى وبينك فأنتِ أقمتنى هذا المقام !

عندما يأكل الطفيلى وينتشى !!

وقال آخر : مرّ طُفَيْلِىٌّ بقوم عزموا على الشُّرْبْ يومهم ذاك وهم فى منظرةٍ لهم ، فسلم عليهم ، وقال : أدخل ؟ فلما دخل قال : يا فتيان ! لأى شىء جلوسكم ؟

قالوا : قد بعثنا نجىء بلحم !

قال : فلما جاءوا باللحم ، قال لهم الطباخ :

ما تطبخون ؟

فقال الطفيلى : كباب أرْوَج !

فلما أكل وانتشى ، وضع رجلا على رجل وقال :

لمن هذه الدار ؟

ثم قال مجيبا لنفسه :

لك (يا بن الفاعلة !) حتى يجىء منازع !

ماذا يحسن الطفيلى ؟

وقال بعضهم : صحب طفيلىٌّ رجلا فى سفر ، فقال له الرجل :

امْضِ فاشترِ لنا لحما ! ، فقال : لا والله ما أقدر ! فمضى هو ؛ فاشترى ، ثم قال له :

قم فاطبخ ؛ فقال : لا أحسن الطبخ !

فطبخ الرجل ، ثم قال له : قم فاثرد[2] ؛ فقال : أنا والله كسلان !

فقام الرجل فثرد ، ثم قال له :

(١) المصلية : المشوية .

(٢) أعدّ ثريداً .

قم فاغرف ؛ قال : أخاف أن ينقلب القِدْر على ثيابى !

فقام الرجل فغرف ، ثم قال له :

قم الآن فكل !!

قال الطفيلىّ : قد ـ والله ! ـ استحييت من كثرة خلافى لك ، وتقدم فأكل !

كيف يحسب الطفيلى ؟

● **قال بعضهم** : قلت لأبى سعيد الطفيلى :

كم اثنين فى اثنين ؟ قال : أربعة أرغفة !

● **وقال مرة أخرى :**

انتظرتُه مقدار ما يأكل الإنسان رغيفاً

● **وقال أبو هفان : قيل لطفيلى** : كم أربعة فى أربعة ؟

قال : ستة عشر رغيفا .

كناية لطيفة !!

وقال أبو هفان : طَفّل رجل على رجل ، فقال له صاحب المنزل : من أنت ؟

قال : أنا الذى لم يحوجك إلى رسول[1] .

توقيت حضوره !

وأنشد أبو هفان :

سـواء عليهـم قدّمـوا أو تأخـروا ... أجىء مع الطبـاخ سـاعة يغـرف !

كيف يرد ؟!

وقال أبو الفضل الشاعر :

حدثنى أبى قال :

دخل طفيلى مرة على رجل قدْ دَعَا قوماً فقال له :

يا هذا ؟ ما قلت لك أن تجىء !

فقال الطفيلى : بل قلت لى !!

---

(١) وهكذا الطفيلى لا ينتظر دعوة !

أمر مضحك !

قال عبد الله البزار : دخل طفيلى على قوم فقالوا :

ما دعاك أحد منا !!

فقال : إذا لَمْ تدعُونى ، ولم أجىء أنا ، وَقَعَتْ وَحْشة !! فضحكوا منه ، وقربوه !

«زَرْزَارًا» هذا لا أدرى من هو ؟

وقال أبو على شعبة :

جاء طفيلى إلى دار رجل له عُرس ، فقال له صاحب العُرس :

من أنت ؟ فقال : أنا الذى قال فىَّ الشاعر :

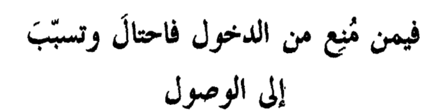
نزورُكُم لا نكافيكُم بجفوتكم　　　إن المحِبّ إذا لم يُزَرْ زَارَا

فقال له صاحب البيت :

«زرْزارَا» هذا لا أدرى من هو ؟! ، قم فاخرج من بيتنا !!

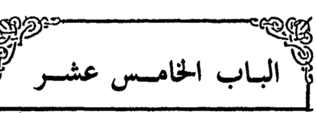


الباب الخامس عشر



فيمن مُنِع من الدخول فاحتالَ وتسبّبَ إلى الوصول

- حيل وأسباب ملفقة :
- بنان يرهن خاتمه !
- بنان يكترى سُلَّماً !
- من حِيَل أشعب !
- طفيلى يحمل رسالة إلى العروس !
- طفيلى فى مرآة شاعر !
- طفيليان ينزلان على مائدة طفيلى !
- خبر طريف فى مثل هذا المعنى !
- رد بعض الطفيليين على من لامه !
- ردود مفحمة !!



الباب الخامس عشر

(فيمن منع من الدخول فاحتال وتسبب إلى الوصول)

بنان يرهن خاتمه !

قال بعضهم : مرّ بنّان بعُرسٍ ، فأراد الدخول فلم يقدر ! ؛ فذهب إلى بقال ، فوضع خاتمه عنده على عشرة أقداحٍ .

وجاء إلى باب العُرس ، فقال :

يابواب ! افتح لى ؛ فقال له البوّاب :

ومن أنت ؟ قال : أراك لستَ تعرفنى !

قال : لا .

قال : أنا الذى بعثونى لأشترى لهم الأقداح ! ؛ ففتح له البواب ؛ فأكل وشرب مع القوم ، فلما فرغ أخذ الأقداحَ[1] ، وقال :

يابواب ! يريدون «**ناصحية**» ؛ فافتح لى حتى أردّ هذه !

فردها على البقال ، وأخذ خاتمه !

بنان يكترى «سُلّماً» .

وجاء ــ أيضا ــ بنان إلى وليمة فأُغلِقَ البابُ دونه ، فاكترى[2] سُلّماً ، ووضعه على حائط الرّجُل ، وتَسَوّر ، فأشرف[3] على عِيالِ الرجل وبناته ! فقال له الرجل :

ياهذا ! أما تخافُ اللهَ !! رأيتَ أهلى وبناتى !

فقال له : ياشيخُ : ﴿**لقد علمتَ ما لنا فى بناتِك من حَقٍّ وإنك لتعلَمُ ما نُريد**﴾[4] .

---

(١) الأقداح : جمع قَدَح : آنية تُروِى الرجلين ، أما العلاكية والناصحية فلعلها صنفان أو نوعان لأحدهما ميزة على الآخر .

(٢) اكترى : استأجر .　　　(٣) أشرف : أطلّ واطّلع .

(٤) وهو اقتباس جميل ، وإن كانت له إيحاءات تعيد إلى الذهن المشهد والمناسبة التى قيلت فيها الآية رقم ٧٩ من سورة هود ! .

قال : فضحك الرجل ، وقال له :

انزلْ فكُلْ ! فقال له بنان :

ياهذا لاتسىء الظَّنّ بالمشايخ ، واستغفر الله مما كان !

وقد حُكى عن أشعب بن جُبير[١] صَاحِبِ المُلَج بالمدينةِ نحو هذه الحكاية !

والأصل فيه : ما حُكِيَ عن مُصْعَب الزُّبيرىّ قال :

خرج سالم بن عبد الله مُتَنَزِّهاً إلى ناحيةٍ من نواحى المدينة وهو وحرمه وجواريه ، فبلغ « أشعبَ » الخبرُ ؛ فوافى الموضعَ الذى هم فيه ، فوجد البابَ مغلقاً فتسوَّر الحائطَ فقال له سالم : وَيْلَكَ ياأشعب !! معى بناتى وحرمى !! فوجّه إليه سالم من الطعام ما أكل ، وحملَ إلى منزله[٢] !

رسالة إلى العروس من أخيها !

وحكى محمد بن على الجلاب قال :

جاء طُفَيلىّ إلى عُرسٍ ، فمُنِع من الدخول ، وكان يعرف أن أخا العَروسِ غائب ، فذهب وأخذ ورقة كاغد[٣] ، وطواها وختمها ، وليس فى باطنها شئ[٤] ، وجعل العنوان :

من الأخ إلى العـــــروس !

وجاء فقال : معى كتاب من أخى العروس إليها ! فأُذِن له ، فدخل ، ودفع إليهم الكتاب ، فقالوا :

ما رأينا مثل هذا العنوان !!

ليس عليه اسم أحد ؛ فقال :

وأعجبُ من هذا أنه ليس فى باطن الكتاب ، ولاحرف واحد ؛ لأنه كان مستعجلا ؛ فضحكوا منه ، وعرفوا أنه احتال لدخوله ، فَقَبِلوه !

---

(١) ويضرب به المثل فى الطمع .

(٢) أى حملَ طعاماً بعد أن أكل إلى منزله ، كما هو شأن الطفيليين .

(٣) الكاغد : الورق الأبيض .

(٤) ليس بها كتابة .

نُوح ينوح على الباب !

وقيل لطُفيلىّ : كيف تصنع إذا لم يتركوك تدخُلُ إلى عُرسٍ ؟

قال : أنوحُ على البابِ حتى يتطَيّروا[1] منى ، فيدعونى أدخل !

نسيتُ فردة حذائى فى الداخل !

وقال ابن عبد الله الكرخى : مُنِعَ طُفَيْلىٌّ عن عُرْسٍ ، فذهب ؛ فأخذ إحدى نعليه فى كمه ، وعلق الأُخرى بيده ، وأخذ « خِلالًا »[2] طويلا فقطعه ، وأخذ محلباً[3] من عطّار ، فلطخ به أصابعه ، وجعل يتخلل بذلك الخلال الطويل ، ودنا من البواب كالمستعجل ، فقال :

إنى أكلت فى الفوج الأول لشغل كان علىّ ، ولا ستعجالى أخذت فردةَ نعل ، ونسيت الأخرى ، فتفضّلْ بإخراجها لى !

فقال البوابُ : أنا مشغول . ادخل فاطلبه لنفسك ، فدخل ، فأكل ، وخرج[4] !

صورة يرسمها شاعر لبعض حيل الطفيليين :

وذكر بعض الرواة أن أبا العباس المبَرد أنشد للحمدونى فى طُفَيْلىّ :

أراك الدّهْرَ تَطْرُق كُلّ عُرْسٍ	**كأمرِ اللهِ يطرقُ كل لَيْله**
فإن غَلُظَ الحجابُ وكان صَعْباً	**ولم تَقْدِرْ هنـاك على دُخَيْلَـه[5]**
أخذت لكى تُخاطبهَم خِلالاً	**وقُلتَ نسيتُ عندكُم نُعَيْلَةْ[6]**
فتَلْتَهِـمُ الخُـوان بما عليـه	**وتَبْدُرهـم إلى بيض البُقَيْلـة[7]**

(١) يتطيروا : يتشاءموا . ولا طِيَرة فى الإسلام .

(٢) أعواد رفيعة يستعين بها الآكل على إخراج ما يتخلل أسنانه من طعام .

(٣) المحْلَب : بفتح الميم شجر له ثمر يُجْعل فى الطِّيب . وكان من عادتهم استخدام الطيب لإزالة رائحة الطعام .

(٤) وربما بدت هذه الحيل ؛ بالنسبة إلى الحيل الأمريكية فى زماننا ساذجة ، لكنها على أى حالٍ مضحكة ، وتعطى ملامح عصرٍ مضى !

(٥) منفذ تدخل منه .

(٦) المراد : فردة نعل . وعبر عنها بمصغر « نعل » .

(٧) تبدرهم: تسبقهم، وبيض البُقَيْلَة. من عيون الأطعمة، ولا يستحسن المبادرة إليها ولعلها أشبه ما تكون بـ=

وتأكلُ أكْلَ مَيْسَرةٍ وأيضاً فلابد لعُرسِك من زُلَيْلَه
وأنتَ بفضل حِذْقِكَ ذاطُفَيْل وتلك بما تزل لها طُفَيْلة

إنى أُلاَع إلى السخن فأدخلنى !

وقال أبو عبيدة : أتينا رجلاً من بنى مخزوم ، وكان ينزل ضاحية بنى تميم فوافى دكين الراجز ، فقال للبواب : إنى ألاع[1] إلى السخن فأدخلنى !

فأبى البواب أن يدخله ، فوقف دكين على دكان وقد انصرف بعض القوم وأنشأ يقول :

انصرف الناس وقالوا عُرْسُ إذا قِصَاعُ كالأكف خمسُ
زلجلجات[2] قد جمعن مُلْس ففقئت عَيْنٌ وفاضت نفسُ

فقال له البواب : من أنت ، لا أحياك الله ؟!

فقال : أنا دكين الراجز فأدخله !

طفيليان يدخلان على طفيلىّ أقام وليمة

وقال ابن المقرى : عمل طفيلى وليمة فدخل عليه طفيليان فأصعدهما إلى غرفة له ، حتى أطعم من أراد ، ثم نزل بهما ، فقال لهما : لا أصغر الله ممشاكما ، فأخرجهما ، ولم يأكلا من الطعام شيئا .

من أخبار ابن درّاج الطفيلىّ !

وقد كان «لأبى سعيد بن دراج الطفيلىّ» فى هذا المعنى خبر طَريف !

والأصل فيه : ما حكى عن «أبى على المقدسى» أن «ابن دراج الطفيلى» كان من أهل «حران» وقدم بغداد فمر بباب قوم وعندهم «وليمة» ، فدخل ، فإذا صاحب

=«لُقمة القاضى» . وإن كان بعض الشراح قال إنها من قبيل التصحيف وهى البيضة المقلية . كما فى حاشية لعيون الأخبار .

(١) ألاع : أتوقد حرصا عليه ، ويحترق فؤادى طلبا له .

(٢) زلجلجات : التى تحرك وتذهب ويجاء بها لا تقر فى موضع واحد .

الدار قد وضع سُلَّماً ، فكلما رأى إنساناً لا يعرفه قال :

اصعد يا أبى !!

قال ابن دراج ، فصعدت إلى غرفةٍ مفروشة حتى وافينا ثلاثة عشر طفيليًّا !!

ثم رُفع السُّلّم ، ووضعت الموائد ، فبقى أصحابى متحيرين ، ويقولون : ما مَرّ بنا مثل هذا !!

قال : قلت يا فِتيان ! أَيْش[1] صِناعتكم ؟!

قالوا : طُفَيْلية !!

قلت : فأيش عندكم فى هذا الأمر الذى وقعنا فيه[2] ؟!

قالوا : ما عندنا فيه حيلة !!

قلت : فإن احتلت لكم حتى تأكلوا وتنزلوا تُقِرّون لى أَنّى أعلمكم بالتطفيل ؟!!

قالوا : ومن أنت ـــ أصلحك الله ـــ ؟!

قال : أنا ابن دراج .

قالوا : أقررنا لك قبل أن تحتال لنا .

قال : فجئت إلى صاحب الدار ، فاطلعت عليه ، والناس يأكلون ، قال :

قلت : يا صاحب الدار ! فقال : مالك ؟!

قلت : أيُّما[3] أحب إليك ؟

تصعد إلينا بخُوان كبيرَ ، نأكل ، وننزل ، أو أرمى بنفسى ؛ فيخرج من دارك قتيلٌ ، ويصير عرسك مأتماً ؟!!

قال : وجعلت أُجَرّ سَراويلى[4] ، كأنى أريد أن أعدو وأرمى بنفسى[5] !!

قال : فجعل صاحب الدار يقول :

اصبر ، ويلك ! .. لا تفعل !

---

(١) أَيْش : كلمة منحوتة من (أى شئ ؟) بمعناه ، وقد تكلمت به العرب . المعجم الوسيط .

(٢) ما المخرج ؟ وما حِيَلكم التى تتجلى فيها مهارتكم فى التغلب على المواقف الحرجة ؟!

(٣) أى تكون استفهامية مثل : ﴿أيكم زادته هذه إيماناً﴾ ؟

(٤) سراويلى : السراويل : ما يلبس لستر النصف الأسفل من جسم الإنسان .

(٥) راح يمثل أنه يتهيأ للجرى والعدو تمهيداً لإلقاء نفسه والرمى بها .

وجعل يعجلهم ويقول :

هذا مجنون ؛ فأصْعِدوا إليه خوانا !!

فأكلنا ونزلنا !!

و «ابن دراج» هذا كان قديماً من الطفيليين ، وله فى التطفيل حكايات غريبة !

من حكايات ابن دراج :

وقال بعضهم : سمعت عيسى بن محمد بن أبى خالد يقول لابن دراج — وكان ابن دراج طويلا — :

من أى شىء طال رأسك ؟!

قال : من مزاحمة الأبواب !!

(أى : يعصرونه مع الحائط بالأبواب[1]) .

كم تساوى النادرة عند ابن دراج ؟

وقال ابن المقرى :

حدثنى أبو عبد الله بن الجهم ، أخبرنى يحيى الفراء

قال : كنت قاطعت «ابن دراج» الطفيلى على أن يُملى علىّ ثلاثين نادرةً بدرهم ، فكان إذا ذكر نادرة باردة لم أحسبها له !

فقال : إن أردت النّقاوَة عشرة بدرهم !

ردٌّ مُفْحِم !!

وقال بعضهم :

لِيمَ[2] بعض الطفيلية على تطفيله فقال :

ما صُنِعَ الطعام إلا ليؤكل ..

وما وُضِعت الموائد إلا لتُبذل ..

وما وُجدت المنازل إلا لتُدخل ..

وما قدّمت هديّةً ؛ فأتوقّع رسولًا ..

(١) من شدة الزحام على الموائد .

(٢) ليم فعل ماضٍ مبنى للمجهول . أى لام أحدهم بعض الطفيليين .

وما أكره أن أكون ثقيلاً على من أراه بأكلي بخيلاً ؛ فأقتحم مجلساً، وأتمكن مستأنساً ، وأنبسط إن رأيته عابساً . فآكل شهوتي برغمه !

وأعاود بعض الكِظَّةِ لأغمه[1] !

لا أُنفِق درهماً ، ولا أُتعبُ خادماً ، ولذلك قلت :

كُلَّ يومٍ أجولُ في عَرْصَةِ المِصْـ ـرِ أَشَمُّ القتار شَمّ الذُّباب
فإذا مارأيتُ آثارَ عُرسٍ أوْ خِتانٍ أو دَعْوةِ الأصحابِ
لم أودّعِ ذوي التَّقَحُّم لاأرْ هَبُ سَبًّا أو لكزة البَوّاب
مستهيناً بمن هجمت عليه غير مستأذِنٍ ولا هياب
فتراني ألفّ - بالرغم مني - كلّ ماقدموه لفّ العُقابِ
ذاك أهنَى من التكلّف والغُر مِ وغيظ البقّال والقصّاب

أبو العراقيب المدني !

وقد حكى عن ابن داب أن هذه الأبيات لـ«أبي العراقيب المدني» الطفيلي وأولها :

قُلْ لأهل التطفيل : إني إمام لكم بين شيبكم والشباب

وذكر بعد هذا البيت أبياتاً عدة فيما سقنا إلا أن في بعض الألفاظ اختلافاً ، وبعدها :

ما أُبالي : حللت بالسادة القا دَةِ أم بالعُلوج والأَعراب[2]
لاتراني أخيم من نَبْحة الكـ ـلْبِ ولا من سفاهةِ البوابِ[3]
يرهب الناسُ مَن ثيابهم الشَـ ـقّ وهَمّي هناك شقُّ الثيابِ

طفيليّ يعجب ممن يُديم النظر إليه !!

وقال سليمان المنقريّ :

كنت في دعوة لبعض أصحصابنا ، وفي القوم طفيلي ، فجعل بعض القوم ينظر إليه ،

(١) الكِظَّة : بكسر الكاف وتشديد الظاء : البِطنة والامتلاء ؛ أي أنني أملأ بطني فوق ما تتحمل ؛ لأغم البخيل الذي يكره وجودي على مائدته !

(٢) العُلوج : جمع عِلْج من كان غير عربي .

(٣) أخيم : أجبن وأخاف وأنكص على عقبي !

فقال له الطفيلى :

يا فتى ! سُبحان الله !!

ألم ينه النبى ﷺ : أن يُتْبعَ الرجلُ بصَرَه لُقمةَ أخيه ؟!

وعن أبى عمرو مولى عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال :

قال رسول الله ﷺ :

«لا يُتْبِعَنَّ أحدُكُم بصَرَهُ لقمةَ أخيه»[1]

طُفيْليّ يُفْحِمُ من عَرّضَ به !

وقال الجهضمى[2] : كان لى جار طفيلى ، وكان من أحسن الناس منظراً ، وأعذبهم منطقاً ، وأطيبهم رائحة ، وأجملهم لباساً .

وكان من شأنه أنّى إذا دعيتُ إلى وليمة يتبعنى ، فيكرمه الناسُ من أجلى ، ويظنون أنه صاحبٌ لى !

فاتفق يوماً أن جعفر بن القاسم الهاشمى أمير البصرة أراد أن يَخْتِنَ[3] بعض أولاده ؛ فقلت فى نفسى :

كأنى برسول الأمير قد جاء ، وكأنى بهذا الرجل قد تبعنى !!

والله لئن تبعنى لأفضحَنّه !

فبينا أنا كذلك ، إذ جاء رسول الأمير يدعونى ، فبادرت ، ولبست ثيابى ، وخرجت .

وإذا أنا بالطفيلىّ واقف على بابِ داره ، قد سبقنى بالتأهب ، فتقدمت ، وتبعنى !

فلما دخلنا دار الأمير ، وجلسنا مقدار ساعتين ، دعا بالطعام ؛ فحضرت الموائد ، وكان كل جماعة على مائدة ؛ لكثرة الناسِ ، فقُدِّمت إلى مائدة والطفيلى معى ، فلما مدّ يدَه وشرع فى تناول الطعام ، قلت : حدثنا درست بن زياد عن أبَان

---

(١) أورده المتقى الهندى فى كنز العمال (٤٠٨١٦) وعزاه إلى الحسن بن سفيان عن أبى عمر .

(٢) نصر بن على أبو عمر الجهضمى .

(٣) يُجرى لهم عملية الختان ، وهى سنة للبنين ، مكرمة للإناث . وهى مناسبة سعيدة لدى الأهل يحتفلون . ويطعمون الطعام . فراح يتوقّع قدوم رسُولٍ عليه ليدعوه وأخذ يفكر فى متابعة الطفيلى له مما قد يحرجه ويسئ إليه !

ابن طارق ، عن نافع ، عن ابن عمر — رضى الله عنهما — قال :

قال رسول الله ﷺ : **«من دخل دار قوم بغير إذنهم ، فأكل طعامهم دخلَ سارقاً وخرج مُغِيراً»**[1] .

فلما سمع ذلك قال :

أَنِفْتُ لك — أبا عَمْرٍو — من هذا الكلام ؛ فإنه ما من أحدٍ إلا وهو يظنّ أنك تُعَرّض[2] به دون صاحبه !

أَوَلاَ تستَحِى أن تتكلم بهذا الكلام على مائدة سيِّدٍ من أطعمَ الطعام ، وتبخلَ بطعام غيرك على مَن سِواك ؟! ثم لا تستحى أن تحدّث عن «درست بن زياد» (وهو ضعيف) .

عن «أبان بن طارق» . (وهو متروك الحديث) .

تحكم برفعه إلى النبى ﷺ والمسلمون على خلافه ؛ لأن حكم السارق القطع ، وحكم المغِير أن يُعَزّر — على ما يراه الإمام — وأين أنت من حديث حدّثناه «أبو عاصم النبيل» عن «ابن جريج» عن «أبى الزّبير» عن «جابر» قال : قال رسول الله ﷺ :

«طعام الواحد يكفى الاثنين ، وطعام الاثنين يكفى الأربعة ، وطعام الأربعة يكفى الثمانية»[3] .

[وهو إسناد صحيح ، ومتن صحيح]

قال نصر بن علىّ :

فأفحمنى ؛ فلم يحضرنى له جواب !!

فلما خرجنا من الموضع للانصراف ، فارقنى من جانب الطريق إلى الجانب الآخر ، بعد أن كان يمشى ورائى ، وسمعته يقول :

(١) انظر جمع الجوامع للسيوطى ص ٧٧٦ وعزاه لابن النجار من حديث عائشة .

(٢) تعنيه وتقصده وإن لم تصرح باسمه .

(٣) أخرجه مسلم فى صحيحه كتاب الأشربة : باب فضيلة المواساة فى الطعام القليل حديث (١٧٩) ، وابن ماجه فى سننه كتاب الأطعمة : باب طعام الواحد يكفى الأثنين حديث (٣٢٥٥) ، وأحمد فى مسنده (٤٠٧/٢) ، (١٠٣/٣ ، ٣١٥ ، ٣٨٢) .

ومن ظن ممن يُلاقى الحروب بأن لا يصُاب فقد ظن عجزا

رد على مُعَاتب !!

وقال ابن المقرى :

عوتب «**بنان**» يوما ، وأنا أسمع فقيل له : يا بنّان ! ويْحَك ! كم يكون هذا الذى أنت فيه بسبب الأطعمة !!

تبْ إلى الله تعالى مما أنت فيه !!

قال : ـــ فديتكم ـــ من يَصْبر عن السّميدين :

الأبيض والأصفر ؟!

والجِدَاء الرُّضعّ ..

والفالوذج المعقود ..

والله ما يزهد فى هذا عاقل !

ولا يصبر عن هذا حُرّ !!

أيهما أحبّ إلى «بنان» ؟!

قال : وقيل لـ «بنان» ـــ وقد أكل كثيرا ـــ : حَسْبُك !!

فقال : إذا كان الأجل موقوتاً ؛ فلأن أموت شبعانَ ريَّان أحبُّ إلى من أن أموت عريان جوعان !

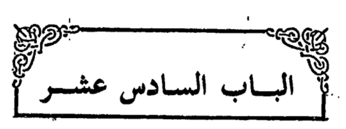




الباب السادس عشر

فيمن طفّل من الأشراف والأكابر ، وأهل العلم والأدب

- عبد الله بن جعفر .
- ذو الرّمة .
- رقبة بن مصقلة .
- حكم الوادى المغنى .
- إبراهيم بن المهدى .
- إسحق بن إبراهيم .
- مخارق المغنى .



الباب السادس عشر

[فيمن طفل من الأشراف والأكابر ، وأهل العلم والأدب]

ومما نقل عن بعضهم قيل :

مر عبد الله بن جعفر[1] ، ومعه عدةٌ من أصحابه بمنزل رجل قد أعرس ، وإذا مغنية تقول :

قلْ لكـرامٍ ببابِنـا يَلجِـوا ما في التصـابي على الفـتى حـرج

فقال عبد الله لأصحابه : ــ لجُوا ؛ فقد أذن لنا القوم ! فنزل ونزلوا ؛ فلما رآه صاحب المنزل تلقاه وأجلسه على الفرش ، فقال للرجل :

كم أنفقت على وليمتك ؟

قال : مائتي دينار !

قال : وكم مَهرْت امرأتك ؟

قال : كذا ، وكذا ؛ فأمر له بمائتي دينار ، ومهر امرأته ، وبمائة دينار بعد ذلك معونة ، واعتذر إليه ، وانصرف[3] !

---

(١) عبد الله بن جعفر بن أبي طالب ، يقال : إنه لم يكن بالإسلام أسخى منه . قال ابن حبان : كان يقال له : قطب السخاء ! وأخباره في الكرم كثيرة شهيرة كما جاء في الإصابة . وقال ابن أبي الدنيا : حدثني ابن أخي الأصمعي ، حدثني عمي ، حدثني خلف الأحمر قال : قال الشماخ بن ضرار يمدح عبد الله بن جعفر :

إنك يابـن جعفـر نعـم الفتـى ونعـــم مأوى طارق إذا أتى
وربّ ضيــف طرق الحيّ سُرى صادف زاداً وحديثـــا ما اشتهى

[ا هـ . الإصابة]

يلجوا : من الولوج وهو الدخول .

والتصابي : تكلف الصبا ، والميل إلى اللهو .

(٢) لجوا : أمر للجماعة من «ولج» ؛ أي ادخلوا .

(٣) ولا أرى فيما فعله تطفيلا ، بل هل هو عمل كبير يقوم به كرام النفوس ، فقد أسهم بماله ، واعتذر ، وانصرف !

هل كان ذو الرّمة طفيليا ؟

وقال الكندى : سمعت أبا بكر بن عياش يقول : حدثنى من رأى « ذا الرّمة » طفيليا يأتى العرسان[1] !

زكـريا بن منظـور :

وقال آخر : سمعت العباس بن محمدالدورى يقول :

زكريا بن منظور كان طفيليا[2] .

رَقَبة بن مصقـلة[3]

وقال القحذمى : كان رَقبة يقعد فى المسجد ، فإذا أمسى ، بعث جلساؤه من جيران المسجد ، فيأتى كل رجل منهم من منزله بطُرفة[4] فيأكل ثم يقول : ليت الليل كان سرمداً[5] إلى يوم القيامة !

صـريع الفـالوذج :

وقال الهيثم بن عدى :
أتى رَقبة بن مَصقلة العبدىّ مِسْعر بن كدام ، فاستلقى على ظهره ، فقال :
مالك ياأبا عبد الله ؟

---

(١) هو غيلان بن عقبة صاحب ميّة وخرقاء نشأ فى بيت كله شعراء ، وكان هواه مع الفرزدق على جرير ، وعلى شعره مِسحة البادية . توفى سنة ١١٧ هـ . وسمى ذا الرمة ، لأنه ذكر كلمة الرّمة وهى بقية الحَبْل فى شعره .

(٢) زكريا بن منظور . هو أبو يحيى القرظى القاضى . وقال ابن معين : وليس به بأس ، وإنما كان شىء فيه زعموا أنه كان طفيليا .

(٣) رقبة بن مصقلة بن عبد الله الكوفى من المحدثين الثقات ، والزُّهّاد . قيل : إنه كان فيه دُعابة . توفى سنة ١٢٦ هـ . تهذيب التهذيب ٢٨٦/٣

(٤) الطّرفة : كل شىء مستحدث عجيب . والمراد أنهم كانوا يحضرون إليه مالذ وطاب .

(٥) السرمد : الدائم الذى لا ينقطع . والليل عنده مرتبط بالأكل .

قال : صَرِيعُ الفَالُوذَج[1] ! ، كنا فى دار رجل قضى بين الناس فى الجماعة ، وحكم بينهم فى الفُرقة[2] ؛ دعانا الوليد بن حربِ بن الحارس بن أبى موسى الأشعرى إلى وليمة ، فأتانا بخوان كجَوْبَةٍ من الأرض[3] ، ثم أتانا بخبزٍ رقاق كآذان الفيلة ، ثم أتانا بثريدة ملساء ، ثم أتانا بساكبة كأن ظهرها ظهر طير قيراطىّ ، ثم أُتينا بفالوذجٌ يقرأ نقش الدرهم من تحته ، فوضع على رأس حب ، فنحن على لذة من هذا ، وعلى يقين من ذاك !

فقال له مسعر (وكان يكنى أبا سلمة) : ياأبا عبد الله !

أراك طفيليا !

فقال : ياأبا سلمة !

كانوا كلهم طفيليين ، ولكنهم يتكاتمون !

طفيل لكنه ظريف !

وقال سعيد بن عثمان :

كان قوم جلوساً على شرابٍ لهم ، فدخل عليهم داخل ، فاستثقلوه ! ؛ فقال بعضهم :

أيها الواغـلُ الثقيـلُ عَلَيْنَـا ... حِينَ لَذّ الحديثُ لِى ولِصَحْبى[4]
خِفَّ عَنَّا فأنت أثقـلُ والله ... علينـا من فرسـخى دير كعـب !

قال : فأجابه الرجل فقال :

لست بالبـارح العَشِيّةَ والله ... لشَتْـمٍ ولا لِشِدّةِ ضَرْبِ
أو تَرْوُونَ بالكِبار حِشاشى ... وتعلّـون بعدهـن بقَعْـبِ[5]

---

(1) الفالوذج : أصله : بالوذة وعرب إلى فالوذ ، وفالوذق . تصنع من السكر ، أو العسل ، والنشا ودهن اللوز أو الجوز أو الفسدق .

(2) أى : رجل ذو شأن فى قومه .

(3) الجَوْبَةُ : الفُرجَة ، وكل منفتق متسع من الأرض بلا بناء

(4) الواغل : الذى يدخل علىْ القوم فى شرابهم دون أن يدعى وقد سبق بيانه .

(5) القعب : قدح ضخم غليظ ، وتُعِلّون : تشربون مرة بعد مرة وحشاشى : أحشائى وجوانبى .

قال : فقالوا : اسقوه ؛ فإنه ظريف !

العارف لا يلوم :

وفى كتاب ابن زبد العلوى لبعضهم :

إنّ مَنْ كَانَ عَارِفاً بالجميلِ لايَلُومُ الفَتَى عَلَى التَّطْفِيلِ
أنا فى منزلى وحيدٌ .وأنتم قد خَلَوْتُمْ بمَسمَعٍ وشَمُولِ[1]
هذه رقعتى وهذا رسولى أنا فى إثرها وإثر الرسول

ليلة من ليالى الكوفة :

قال محمد الغفارى :

خرج «**حكم الوادى**» المغنى من الوادى مغاضباً لأبيه حتى ورد المدينة ، فصحب قوما من الحمالين إلى الكوفة ، يعاونهم ، ويركب معهم العُقْبَة[2] حتى دخل الكوفة .

فسأل من أسرى مَن بالكوفة ممن يشرب النبيذ ، وأسراه[3] أصحاباً ؟

فقيل : فلان التاجر البزاز ، وله ندماء من البزازين[4] .

وكان التجار يصيرون فى منزل كل واحدٍ يوما ، فإذا كان يوم الجمعة صاروا إلى منزله ، فخرج فجلس فى صفهم ، وكل واحد منهم يظن أنه جاء مع بعضهم ! ؛ يتحدثون ويتحدث معهم ، حتى إذا انصرفوا ، وصاروا إلى منزل الرجل ، وهو معهم ؛ فلما أخذوا مجالسهم ، جاءت جارية ، فأخذت أرديتهم[5] ، وطوتها ، وأتت بالطعام ، ثم أتوا بالنبيذ ، فشربوا ، وكلهم يظن بالوادى ذلك الظن ، حتى إذا طابت

---

(١) ساق فى هذه الأبيات مبررات التطفيل فهم قد انفردوا دونه بسماع وشرب بينما هو وحيد بمنزله ألا يكون ذلك داعيا له إلى مشاركتهم ؟! . والشَّمول : الخمر .

(٢) العُقْبة : النّوبة : أى يتعاقبون ركوب الدواب واحدا بعد آخر .

(٣) أسرى : أشرف

(٤) البزّاز : بائع البزّ ، نوع من الثياب ، والبِزَازة : حرفة البزاز .

(٥) جمع رداء : وهو ما يلبس فوق الثياب كالجبة والعباءة ، والثوب يستر الجزء الأعلى والوشاح .

أنفسهم ، قام الوادى إلى المتوضّأ[1] ، فأقبل بعضهم على بعض فقالوا :

مع مَنْ جاء هذا ؟

فكلهم يقول : والله ماأعرفه !!

فقالوا : طفيلى ! ؛ فقال صاحب المنزل :

فلا تكلموه بشيء ؛ فإنه سِرِىّ هَنِىّ عاقل[2] ! وسمع الكلام !؟

فلما خرج حيّا القوم ، ثم قال لصاحب البيت : هل عندكم دُفٌّ مربع ؟

قال : لا ، ولكن نطلبه لك .

فأرسل فاشترى من السوق ، وعلموا أنه مُغنٍّ ؛ فلما وضع الدف فى يده وحركه كاد أن يتكلم فكاد القوم أن يطيروا من الطرب من عجيب نقره على الدّف ، ثم غنى بحلق لم يسمعوا بمثله ، فلما سكت ، قالوا :

بأبى أنت ياسيدنا ما كان ينبغى أن تكون إلا هكذا[3] !!

فقال : قد سمعت كلامكم ، وما ذكرتم من تطفيلى !! وأى شيء كان عليكم من رجل دخل فيما بين أضْعَافكم[4] ؟

فقالوا : ما كان من ذلك شيء !!

فأقام معهم يوما ، ثم قالوا له : أين تريد ؟

قال : باب أمير المؤمنين !

قالوا : وكم أَمَلُك منه ؟ . قال : ألف دينار !

قال : فإنا نعطى الله عهدا إن رآك أمير المؤمنين فى سفرك هذا ، ولا عاينك ، ولا عاينت بلاداً سوى الكوفة ، وهى علينا !

(١) مكان الوضوء ، أو الوضوء نفسه ، اسم مكان أو مصدر ميمى . ومثلهما اسم الزمان واسم المفعول وكلها صيغة واحدة . على وزن المضارع بابدال أوله ميما مضمومة وفتح ما قبل الآخر . والسياق يحدد المراد . (أى دورة المياه) .

(٢) لاتبدو عليه أمارات التطفيل ، ويظهر عليه أمارات الشرف . والعقل والاتزان !

(٣) إنك أهل لهذا .

(٤) أى فيما بينكم ، ومنه أضعاف الكتاب أى حواشيه وما بين سطوره . وهو هنا يعاتبهم على مارموه به من التطفيل عندما خرج الى المتوضأ .

فأخرجوا فيما بينهم الألف دينار ، وأخرجوا كسوة له ولعياله ولأبيه ، وهدايا من العراق ، وأقام عندهم حتى اشتاق إلى أهله ، فحملوه ورجع إلى أهله !

المأمون ، والزنادقة ، وإبراهيم بن المهدى يحكي قصة تطفيله:

حدّث الحسين بن عبد الرحمن الحلبى عن أبيه قال :

أمر المأمون أن يُحْمَلَ إليه عشرة من الزنادقة ، سُمّوا له من أهل البصرة[١] ، فجُمعُوا ، وأبصرهم طُفَيْلى ، فقال : ما اجتمع هؤلاء إلا لصنيع ! ؛ فانسَلّ ؛ فدخل وسطهم ، ومضى بهم الموكّلُون[٢] حتى انتهوا بهم إلى زَوْرَقٍ قد أعِدّ لهم ، فدخلوا الزورق ، فقال الطفيلى :

هى نزهة ! ، فدخل معهم الزورق ، فلم يك بأسرع بأن قُيّدَ القَوْمُ ، وقُيِّد معهم الطفيلى[٣] .

فقال الطفيلى، بلغ بى تطفيلى إلى القيود[٤]! ثم سير بهم إلى بغداد، فدخلوا على المأمون ، فجعل يدعو بأسمائهم رجلا رجلا ؛ فيأمر بضرب زقابهم حتى وصل إلى الطُّفَيْلىّ ، وقد استوفى عِدّةَ القوم[٥] .

فقال للموكلين بهم : ماهذا ؟

فقالوا : والله ماندرى ؛ غير أنا وجدناه مع القوم ، فجئنا به !

فقال المأمون : ماقصتك ؛ ويْلَك ؟!

فقال : ياأمير المؤمنين ! امرأته طالق إن كان يعرف من أقوالهم شيئا ، ولا يعرف إلا الله ، ومحمداً النبى ﷺ ، وإنما أنا رجل رأيتهم مجتمعين ، فظننت صنيعاً[٦] يغدون إليه ! فضحك المأمون ، وقال : يؤدّب .

---

(١) ذكروا للمأمون بأسمائهم والزنادقة : جمع زِنْديق وهو الذى يؤمن بالزندقة وهى القول بأزلية العالم وأطلق على كل شاكّ ، أو ضال ، أو مُلْحِد .

(٢) المسئولون عن إحضارهم من الحراس ، والذين ، وُكِلَ إليهم أمر إحضارهم .

(٣) وضعوا جميعا فى القيود ؛ ليساقوا إلى المأمون ، ولكيلا يهربوا .

(٤) أى أوصلنى إلى ماأنا فيه ، وصدق فيه المثل : كالباحث عن حَتْفِه بظِلْفه !

(٥) أى تم تنفيذ حكم الإعدام فى العشرة المطلوبين !

(٦) الصنيع : كل ما صنع من خير أو إحسان ، والفعل الحسن ، والطعام يُدْعى إليه !

وكان إبراهيم بن المهدى قائما على رأس المأمون ، فقال : ياأمير المؤمنين ! هَبْ لى أدبَه[1] ، أحدثك بحديث عجيب عن نفسى ، فقال : قل ياإبراهيم! ، قال :

ياأميرَ المؤمنين، خرجت من عندك يوما فى سكك بغداد ، فشممت ياأمير المؤمنين من روائح أبازير[2] قدور قد فاح طيبها ، فتاقت نفسى إليها ، وإلى طيب ريحها ، فوقفت على خياط ، وقلت له :

لمن هذه الدار ؟

فقال : لرجل من التجار من البزازين[3]

قلت : ما اسمه ؟

قال : فلانُ ابن فلان ! ، فنظرت إلى الدار فإذا بشباك فيها مِطَلٌّ ، فنظرت إلى كفّ قد خرجت من الشباك قابضة على عضد ومعصم ، فشغلنى ياأمير المؤمنين حسن الكف والمعصم عن رائحة القدور وبقيت باهتا ساعة ثم أدركنى ذهنى فقلت للخياط :

أهو ممّن يشرب النبيذ ؟

قال : نعم ، وأحسب أن عنده اليوم دعوة ، وليس ينادم إلا تجاراً مثله مستورين !

فإنى لكذلك إذا أقبل رجلان نبيلان راكبان من رأس الدرب ؛ فقال الخياط : هؤلاء منادموه[4] !

فقلت : ما اسماهما ؟ وما كُنَاهما[5] ؟

قال : فلان وفلان .

فحركت دابتى وداخلتهما ، وقلت : جُعِلت فِداكما ، قد استبطأكما أبو فلان ـ أعزه الله ـ ! وسايرتهما حتى بلغا الباب ، فأدخلانى ، وقدّمانى ، فدخلنا ، فلما رآنى

(١) أى اترك لى أمر تأديبه . وإبراهيم بن المهدى عم المأمون وأخو هارون الرشيد أديب وشاعر ولد ونشأ فى بغداد ، وبويع بالخلافة فى غياب المأمون بخراسان ، وعفا عنه المأمون ، تعاطى الغناء ، والضرب ، والملاهى ، وحسن المنادمة .

(٢) الأبازير : رائحة التوابل مع الطعام حين يطبخ .

(٣) بائعى الثياب .

(٤) من يجالسونه على الشراب والسّمر !

(٥) الاسم ما سمى به الإنسان عند ولادته ، والكنية ما ينادى به الإنسان بعد ذلك مبدوءاً بأب أو أم .

صاحب المنزل لم يشك أنى منهما بسبيل، أو قادم قدمت عليهما من موضع فرحّبَ بي وأجلسنى فى أفضل المواضع ، فجىء بالمائدة ، وعليها خبز لطيف ، وأتينا بتلك الألوان ، فكان طعامها أطيب من ريحها .

فقلت فى نفسى : هذه الألوان قد أكلتها ، وبقى الكف والمعصم ، كيف أصل إلى صاحبتها ؟!

ثم رفع الطعام ، وجىء بالصهباء[1] ، ثم صرنا إلى منزل المنادمة ، فإذا بشكل منزل ياأمير المؤمنين عظيم ، وجعل صاحب المنزل يلاطفنى ، ويُقبل علىّ بالحديث وهم لا يَشُكّون أن ذلك منه ليس إلا عن معرفة متقدمة ! وإنما ذلك الفعل كان ظنًّا منه أنى منهما بسبيل[2]

حتى إذا شربنا أقداحاً خرجت علينا جارية ياأمير المؤمنين كأنها غصن بَانٍ تثنى ، فأقبلت وسلّمت غير خَجِلة ، وثنت لها وسادة ، فجلست عليها ، وأتى بعود فوضع فى حجرها ، فجسته فاستبنت فى جسها حِذْقها ثم اندفعت تغَنّى :

تَوَهّمَهـا طـرفى فأصبـحَ خدُّها وفيه مكانَ الوهْمِ من نظرى أثر
وصافحَها كَفّى فآلـمَ كفَّهـا فمِنْ مَسٍّ كفّى فى أناملها عقر[3]

فهَيّجت ــ ياأميرَ المؤمنين ــ بلابلى وطربت بحسن شِعْرها وحذقِها ثم اندفعت تغنى :

أشرتُ إليها : هل عرفتِ مودتى ؟! فردّت ــ بطرف العين ــ إنى على العَهْد
فحِدْت عن الإظهار ــ عمدا ــ بسرها وحادت عن الإظهار ــ أيضا ــ على عَمْدِ

فصحت ــ ياأمير المؤمنين ــ وجاءنى من الطرب مالا أملك نفسى[4] ! ، ثم اندفَعت

---

(١) الصهباء : الخمر .
(٢) أى أمُتّ إليهما بصلة أو قرابة .
(٣) توَهّمَ : تمثل وتخيل ، وتوسّم وتفرس وهو المراد . والعَقْر : أثر كالحَزّ . وهى ممن قال فى مثلها شاعر :
خطـرات النسيم تجرح خديـه ولمس الحريـر يُدمـى بنانـه
(٤) وهكذا يفعل الغناء والشرب ، ومن أجل هذا حرمهما الإسلام وقد كان لهما أثرهما فى زوال كثير من الممالك .

فغنّتْ الثالث[1] :

أليس عجيباً أنّ بَيْتاً يضُمّنى وإياكَ لانَخْلو ولاتَتَكلّمُ ؟!
سِوَى أعينٍ تشكو الهوى بجفونها وتقطيع أكبادٍ على النار تضرم !
إثارةُ أفواهٍ ، وغمزُ حواجبٍ وتكسير أجفانٍ وكف يُسَلّم

فحسدتها ياأميرَ المؤمنين على حِذقها ، وإصابتها معنى الشعر ، وأنها لم تخرج من الفن الذى ابتدأت فيه !

فقلت : بقى عليك ياجارية !!

فضربت بعودها الأرض ، وقالت :

متى كنتم تحضرون مجالسكم البغضاء ؟! فندمت على ماكان منى ، ورأيت القوم كأنهم قد تغيروا علىّ ! ، فقلت : أليس هنا عود ؟

قالوا : بلى ، والله ياسيدنا !

وأُتيتُ بعود ، فأصلحت من شأنه ماأردت ثم اندفعت أغنّى :

مالِلْمنازِلِ لايُجِبْن حزينَا أَصُمِمْن ، أم قَدُمَ المدى فبَلِينا ؟!
راحوا العشيةَ روحةً منكورةً إن مِتْن متْنا أو حَيِينَ حيينا

فما أتممته حتى قامت الجارية ، فأكبت على رجلى فقبلتها وهى تقول : المعذرةَ ياسيدى !

والله ماسمعت من يغنى هذا الصوت مثلك أحد !

وقام مولاها ، وجميع من كان حاضراً ، فصنعوا كصنيعها ، وطرب القوم ــ والله ــ واستحثوا الشراب ، فشربوا بالكاسات والطاسات ، ثم اندفعت أغنّى :

أبى الله أن تَمْشى ولاتذكرينَني وقد سفَحَتْ عيناىَ من ذِكرِك الدّما
فرُدّى مُصَابَ القلْب أنتِ قَتَلْتِهِ ولاتتركيه ذاهلَ العقلِ مُغْرَمَا

---

(1) ذكر صاحب الأغانى أن هناك مائة صوت مختارة ، وروى عن إسحاق بن إبراهيم الموصلى أن أباه أخبره أن الرشيد ــ رحمة الله عليه ــ أمر المغنين، وهم يومئذ متوافرون أن يختاروا ثلاثة أصوات من جميع الغناء ، فأجمعوا على ثلاثة أصوات لاتبقى نغمة فى الغناء إلا وهى فيها .

إلى اللهِ أشكو بُخْلَهَا وَسماحتي ... لها عَسَلٌ منى ، وتبذل علقمَا
إلى اللهِ أشــكو أنها أجنبيــة ... وأنى لها بالوُدّ ـ ماعشتُ ـ مُكرما !

فجاء مِنْ طرب القوم شيء حسبت أن يخرجوا من عقولهم ! فأمسكت ساعة حتى هدءوا مما كانوا فيه من الطرب ، ثم اندفعوا فى الشرب ، واندفعت أتغنى بالصوت الثالث :

هذا مُحِبُّك مَطْوِيٌّ على كَمَدِه ... حَرّى مدامِعُه تجرى على جَسدِه
له يدٌ تسأل الرحمنَ راحتُه ... مما جَنَى ويدٌ أخـــرى على كَبِدِه

فجعلت الجاريةُ تصيح ، وتقول :

هذا الغناء ـ والله ـ ياسيِّدى ، لا ماكنّا فيه ! وسكر القوم ، وخرجوا من عقولهم ، وكان صاحب المنزل جيد الشرب ، حسن المعرفة ؛ فأمر غلمانه مع غلمانهم بحفظهم ، وصرفهم إلى منازلهم ، وخلوت معهم ، فلما شربنا أقداحا قال :

ياهذا ذهب مامضى من أيامى ضياعاً إذْ كنتَ لا أعرفكِ ، فمن أنت يامولاى ؟ ولم يزل يُلِحّ حتى أخبرتُه الخبر ! فقام وقبل رأسى وقال :

ياسيدى ! أنا أعجب ألا يكون هذا الأدب إلا لمثلك ! وإذا أنا مع الخلافة وأنا لاأشعر ، ثم سألنى عن قصتى ، فأخبرته خبر الطعام ، وخبر الكف والمعصم !

وقلت : أما الطعام ، فقد نلت منه حاجتى !

فقال : والكف والمعصم ؟!

قلت : لا .

قال : يافلانة ! (لجارية له) قولى لفلانة تنزل ، ثم لم يَزَل يُنْزِلُ جواريه واحدة بعد أخرى ، وأنظر إلى كفها ومعصمها وأقول : ليست هى ! ، حتى قال :

والله مابقى غير زوجتى وأختى ! ، ووالله لأنزلنهما إليك ، فعجبت من كرمه ، وسَعَةِ صدره ! ؛ فقلت : جُعِلْت فداك ! ؛ أبدأ بالأخت قبل الزوجة ؛ فعساها هى ! ؛ فبرزت ، فلما رأيت كفها ، ومعصمها قلت :

هذه هى ! ؛ فأمر غِلمانه ، فمضوا إلى عشرة مشايخ من أَجلّة جيرانه فى ذلك

الوقت ، وأحضيروا ، ثم أمر ببدرتين[1] فيهما عشرون ألف درهم ، فقال للمشايخ :

هذه أختى فلانة ! أشهدكم أنى قد زوجتها من : «**سيدى إبراهيم بن المهدى**» وأمهرتها عنه عشرة آلاف درهم ، فرضيت النكاح ، فدفع إليها البدرة ، وفرق الأخرى على المشايخ ، وقال لهم : انصرفوا .

ثم قال : ياسيدى ! أمهد لك بعض البيوت ؛ فتنام مع أهلك ، فأحشمنى مارأيت من كرمه ، فقلت :

بل أحضر عمارة[2] ، وأحضرها إلى منزلى ، فوحقك ياأمير المؤمنين لقد حمل إلىّ من الجهاز ماضاقت به بعض بيوتنا مع سعتها ، فأولدتها هذا الغلام القائم على رأس أمير المؤمنين ! ؛ فعجب المأمون من كرم ذلك الرجل ، وسعة صدره ، وقال :

لله أبوه ! ، ماسمعت مثله قط ! ، ثم أطلق الطفيلى ، وأجاره بجائزة سنية ، وأمر إبراهيم بإحضار الرجل فكان من خواص المأمون وأهل محبته .

إسحق بن إبراهيم يتطفل :

وقال إسحق بن إبراهيم الموصلى حدثنى أبى قال : غدوت وأنا أضجر من ملازمة دار الخلافة ، والخدمة فيها ، فخرجت وركبت بكرة ، وعزمت على أن أستريح

وقلت لغلمانى : إن جاء رسول الخليفة أو غيره ، فعرفوه أننى بكرت فى مهمة لى ، وأنكم لاتعرفون أين توجهت !

قال : فمضيت ، فطفت وقد حمى النهار ، فوقفت فى شارع المحرم فى فناء ثخين الظل ، وجناح رحب على الطريق لأستريح ، فلم ألبث أن جاء خادم يقود حماراً فارهاً عليه جارية راكبة تحتها منديل دبيقى ، وعليها من اللباس الفاخر ، مالا غاية وراءه ، ورأيت لها قواما حسنا ، وطرفا فاترا ، وشمائل ظريفة ، فحدثت نفسى أنها مغنية ، فدخلت الدار التى كنت واقفاً عليها ، وعلقها قلبى فى الحال علوقاً شديدا لم أستطع معه البراح ، فلم ألبث إلا يسيراً حتى أقبل شابان جميلان لهما هيئة تدل على

---

(١) البدرة : كيس من النقود يقدم فى العطايا ، ويختلف باختلاف العهود .

(٢) عمارة : هودجاً لتقلها .

قدرهما ، وهما راكبان ، فاستأذنا ، فأذن لهما ؛ فحملنى ماقد حصل فى قلبى من حب الجارية ، وإيثارى علم حالها ، والتوصل إليها على أن نزلت معها . ودخلت بدخولهما ، فظنا أن صاحب البيت قد دعانى ، وظن صاحب البيت أنى معهما ، فجلسنا ، وأتى بالطعام فأكلنا ، وبالشراب فوضع ، وخرجت جارية وفى يدها عود ، فرأيت جارية حسناء ، وتمكن مافى قلبى منها ، فغنت غناءً صالحاً ، وقمت قومة للبول ، فقال صاحب المنزل لأحد الرجلين :

هل تعرفانه ؟ فأخبراه أنهما لا يعرفانى ! فقال : هذا طفيلى ، لكنه ظريف ! فأجْمِلوا عشرته ، وجئت فجلست ، وغنت الجارية من لحن لى :

ذكرتك إن مرت بنا شادن ... أمام المطايا تَرتْحُ
من المؤلفات الرّمْل أدمى حَرُّه ... شعاع الضحى فى متنها يتوضح

فأدته أداء صالحا ثم غنت أصواتا فيها من صنعتى :

الطُلول الدوارسُ ... كان فيها الأوانسُ
أوحشت بعد أهلها ... فهى قفر بسابس

فكان أمرها فيه أصلح من الأول .

ثم غنت أصواتاً من الحديث والقديم، وغنت أضعافها من صنعتى :

قل لمن عاد عاتبا ... ونأى عنك جانبا
قد بلغت الذى ... أردت وقد كنت لاغبا
واعترفنا بما ادعيت ... وإن كنت كاذبا

فكان أصلح ماغنته ، فاستعدته لأصححه ، فأقبل علىّ رجل من الرجلين فقال :

ما رأيت طفيليا أحنق وجها منك ! لم ترض بالتطفيل ! حتى اقترحت !

عجيب ! طفيلى ويقترح !! .

فأطرقت ، ولم أجبه ! وجعل صاحبه ، يكفّه عنى ، فلا يكفّ .

ثم قاموا للصلاة ، فتأخرت ، وأخذت عود الجارية ، فشددت طبقته ، وأصلحته ! إصلاحاً محكماً ، وعدت إلى موضعى ، وصليت ، وعادوا ، فأخذ ذلك

الرجل فى اللوم علىّ ، وأنا صامت ، ثم أخذت الجاريةُ العودَ ، وجسّته ، فانكرت حاله ، وقالت :

من مَسّ عودى ؟!

فقالوا : ما مَسّه أحد منا !

فقالت : بلى ــ والله ــ قد مسَّه حاذق ، تقدم وشدّ طبقته وأصلحه إصلاح متمكن من صناعته !

فقلت لها : أنا أصلحته ، فقالت : بالله عليك ، خذه واضرب به ، فأخذته وضربت طريقا عجيبا ، صنعت فيه نَقَراتٍ مُحَرِّكة ؛ فما أحدٌ منهم إلا وثب وجلس بين يدىّ ، وقالوا :

بالله يا سيدى ! أتغنى ؟!

قلت : نعم ؟ وأعرفكم نفسى أيضا ؛ أنا إسحق بن إبراهيم الموصلى ، ووالله إنى لأَتيهُ على الخليفة وأنتم تشتموننى اليوم لأجل مجيىء معكم بسبب هذه الجارية !!

ووالله لانطقت بحرف ، ولا جلست معكم حتى تخرجوا هذا المعربد الهنب[1] الغث !

ونهضت لأخرج ، فعلقوا بى ، فلم أعد ، ولحقتنى الجارية فعلقت بى ، فلنت لها ، وقلت .

لا أجلس حتى تخرجوا هذا المعربد البغيض !

فقال له صاحبه :

منْ هذا وشبهه حذرت عليك ، فأخذ يعتذر !

فقلت : أجْلس ، ولكن والله لا أنطق بحرف وهو حاضر ، فأخذوا بيده فأخرجوه ، فغنيت الأصوات التى غنتها الجارية من صنعتى ، فطرب صاحب البيت طربا شديدا ، وقال :

هل لك فى أمرٍ أعرضه عليك ؟

---

(١) الهنب : هنب الرجل هنبا : بله وحمق . والغث : الردىء

قلت : ماهو ؟

قال : تقيم عندى شهرا ، والجارية ، والحمار لك مع ماعليه من حِلْية للجارية ، ومن كسوة !

قلت : أفعل ، وأقمت عنده ثلاثين يوما ، فسلم إلىّ الجارية والحِمار ، والخادم ، فجئت بذلك إلى منزلى وهم فى أقبح صورة لفقدى[1] !

وركبت إلى المأمون من وَقتى ، فلما رآنى قال لى :

يا إسحق ! ويحك أين كنت ؟

فأخبرته بخبرى فقال :

علىَّ بالرجل الساعة ! ، فدللتهم عليه ، فأحضروه ، فسأله المأمون عن القصة ، فأخبره ، فقال :

أنت رجل ذو بِزَّة[2] ، وسبيلك أن تُعاون عليها ، وأمر له بمائة ألف درهم ، وقال له :

لا تعاشر ذلك المعربد ! ، فقال :

معاذَ الله ياأمير المؤمنين !

وأمر لى بخمسين ألف درهم وقال :

أحْضر لى الجارية ، فأحضرتُها له فأمرها بالغناء فغنت ؛ فَأَعجبته ، فقال لى :

قد جعلت عليها « نوْبة » فى كل ثلاثاء تغنينى من وراء الستارة مع الجوارى ، وأمر لها بخمسين ألف درهم فربحت ـ والله ـ بتلك الركبة ، وارتجت .

---

(١) حيث غاب عن أهله تلك الفترة ، لا يعلم أحد أين اتجه .

(٢) بِزّة : هيئة ووجاهة .

مخارق المغنى ممن طفّلوا :

وقال محمد الطوسى : حدثنى أبى قال :
سمعت مخارقاً المغنى يقول : طفّلت تطفيلة قامت على أمير المؤمنين المعتصم[1] بمائة ألف درهم !

فقيل له : وكيف كان ذلك ؟ قال :
شربت مع «**المعتصم**» ليلة إلى الصبح ، فلما أصبحنا قلت له :
ياسيدى ! إن رأى أمير المؤمنين أن يأذن لى فأخرج فأقيم فى «**الرُّصافة**»[2] حتى وقت انتباه أمير المؤمنين !
قال : نعم .

وأمر البوابين فتركونى ، فجعلت أمشى فى الرصافة ، فبينا أنا أمشى إذ نظرت إلىّ جارية كأن الشمس تطلع من وجهها ، ومعها زِنْبِيل[3] بشائر ، فوقفت على صاحب فاكهة فاشترت منه سفرجلة بدرهم ، ورمانة بدرهم . وكمثراة بدرهم ، ومضت فتبعتها ، فالتفتت فرأتنى خلفها أتبعها ، فقالت لى :

يابن الفاعلة إلى أين ؟!
قلت : خلفك ياسيدتى !
قالت : ارجع يابن الفاعلة لاينظرك أحد ؛ فيقتلك !

ثم التفتت بعد ذلك فنظرت إلىّ وشتمتنى ضعف ماشتمتنى فى المرة الأُولى !

ثم جاءت إلى باب كبير ، فدخلت فيه ، وجلست بحذاء الباب ، وذهب عقلى ، ونزلت الشمس ، وكان يومها حارًا ، فلم ألبث أن جاء فتيان كأنهما صورتان على حمارين مصريين ، فاستأذنا ، فأذن لهما ودخلا ، فدخلت معهما ، فظن صاحب

---

(١) المعتصم : هو محمد بن هارون الرشيد الخليفة العباسى ، كان أمياً ، تولى حكم مصر قبل خلافته . استعان بالجنود الأتراك .

(٢) الرصافة بضم الراء المشددة محلة ببغداد كما قال على بن الجهم :

عيـون المهـا بين الرُّصـافة والجسـر ... جلبـن الهـوى من حـيث أدرى ولا أدرى !

(٣) الزنبيل : الغرارة ، والكيس . والبشائر : الدفوف ونحوها كما جاء فى قول البهاء زهير .

ومـا القلـب إلا داره ... ضـربت لـه فيـها البشـائر

المنزل أنى جئت مع صديقيه ، وهما ظنا أن صاحب المنزل قد دعانى ، وجىء بالطعام ، فأكلوا ، وغسلوا أيدهم ، ثم قال لهم صاحب المنزل : هل لكم فى فلانة ؟! قالوا : إن تفضلت ! ؛ فخرجت تلك الجارية بعينها ، وقدامها وصيفة تحمل عودا لها ، فجلست ، ووضعته فى حجرها ، ثم غنت ، فطربوا ، وشربوا ، فقالوا : لمن هذا ياسيدتنا ؟!

قالت : لسيدى مخارق[1] !

ثم غنت صوتا آخر ، فطربوا ، وشربوا ، وزاد طربهم ، فقالوا : لمن هذا ياسيدتنا ؟ فقالت : لسيدى مخارق !

ثم غنت الثالث فطربوا وشربوا وهى تلاحظنى وتشك فىّ

فقالوا : لمن هذا ياسيدتنا ؟ قالت : لسيدى مخارق !

قال : فلم أصبر ، وقلت : ياجارية ! شُدى يدك ، فشدت أوتارها ، وخرجت عن إيقاعها الذى تقول عليه ، فدعوت بعود وقضيب ، وغنيت الصوت الذى غنت أولا ، فقاموا وقبلوا رأسى .

قال مخارق ـ وكان أحسن الناس صوتا ، وكان يوقع بالقضيب ـ : ثم غنيت الثانى والثالث فجثوا ، وكادت عقولهم تذهب .

فقالوا : من أنت ياسيدنا ؟

قلت : أنا مخارق ، قالوا :

فما سبب مجيئك ؟

قلت : طُفَيْلىّ ـ أصلحكم الله ـ ، وأخبرتهم خبرى ، فقال صاحب البيت لصديقيه .

قد تعلمان أنى قد أعطيت فيها ثلاثين ألف درهم ، فأبيت أن أبيعها ، وأردت الزيادة ، وقد نقصت من ثمنها عشرة آلاف درهم !

---

(١) لمخارق مذهب فى الغناء يخالف مذهب إسحق الموصلى ٥ : ١ الأغانى لأبى الفرج الأصبهانى .

. قال صديقاه : عشرون ألفا !! وملكونى الجارية ، وانتبه المعتصم ، فطلبنى فى منازل أبناء القواد بمجلس القواد ؛ فلم يجدنى ، فتغيظ !

وقعدت عندهم إلى العصر ، وخرجت بها ، فكلما مررت بمكان شتمتنى فيه قلت لها :

يامولاتى ! أعيدى شتمك علىّ ! ، فتأبى ! فأحلف لتعيدنّه ، وأخذت بيدها حتى جئت بها إلى باب أمير المؤمنين ، ودخلت ، ويدى فى يدها ، فلما رآنى «المعتصم» سبنى وشتمنى ، فقلت :

ياأميرَ المؤمنين ؟ ، لا تعجل علىّ ، وحدثته القصة ، فضحك ، وقال :

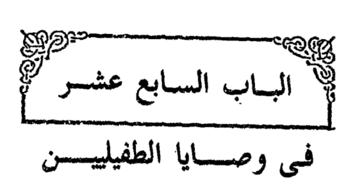
نكافئه عنك يامخارق !

وأمر لكل واحد منهم بثلاثين ألف درهم ، وأمر لى بعشرة آلاف درهم .

الباب السابع عشر

في وصايا الطفيليين

- وصية زعيم الطفيليين لولى عهده .
- وراء الوليمة ولو كانت فى آخر الدنيا .
- وصية بنان .
- وصية بعض الطفيليين لغلامه مع أطيب أمانيه .



الباب السابع عشر

فى وصايا الطفيليين

وصية لولى العهد !

قال محمد بن عمران المرزبانى[1] :

ومما أوصى به طُفيلىّ العرائس الذى يُنْسَبُ إليه الطفيليون[2] ـ يوصى ابنه عبد الحميد بن طُفيل فى علته[3] فيقول :

إذا دخلتَ عُرساً فلا تَتَلَفّت تلفّتَ المريب ! ولْتَتَخيّر المجالس ؛ فإن كان العُرْسُ كثيرَ الزحام فمُرْ وانْهَ ، وامْضِ ، فلا تنظر فى عيون أهل المرأة ، ولا فى عيون أهل الرجل ؛ لِيَظُن هؤلاء أنك من هؤلاء ، ويظن هؤلاء أنك من هؤلاء ؛ فإن كان البواب غليظا فابدأ به ، ومُرْه وانهه من غير أن تعنّفه ، وعليك بكلام بين النصيحة والإدلال ، ثم أنشد :

لا تَجْزَعَنّ مِنَ الغَريـب ... ولا من الرَّجُلِ البعَيد

وادخُلْ كأنكَ طابِخٌ ... بيدك مِغْرَفَةُ الحديد

مِتَدَلّياً فوقَ الطّعَام ... تَدَلّىَ البازِى الصَّيُود

لِتَلُفّ مافوقَ الموَائِد ... كُلَّهَا لَفَّ الفُهُود

واطْرَحْ حَيَاءك إنّما ... وَجْهُ الطُّفَيْلى مِنْ حَديد

لا تَلْتَفِتْ نحو البُقُول ... ولا إلى غَرْفِ الثَّرِيد

حتَّى إذا جاء الطّعَام ... ضَرَبْتَ فِيهِ كالشّدِيد

وعليكَ بالفالوذَجَاتِ ... فإنهـا عين القصيد

---

(١) أبو عبد الله محمد بن عمران المزربانى ـ صاحب الموشح فى مآخذ العلماء على الشعراء . ومعجم الشعراء .

(٢) وهو كما سبق «طُفَيْل بن زلّال الكوفى» .

(٣) علته : مرض موته .

هـــذا إذا جـــــــردتها . وَدَعْوتهم هل من مزيد ؟!
والعُـــرسُ لا يخْلُــو من اللـو . زِينَج الرّطْـــبِ القنيـــــد
فـإذا أُتِيــت بِهِ مَحْــوْ . ت مَحَاسِـنَ الجَـامِ الجـديد

ثم أُغْمِىَ عليه عند ذكر اللَّوْزينج ساعة ، فلما أفاق ، رفع رأسه .

وقال :

وتنقّلـــنَ على المـــوا ئـِدِ فِعْـلَ شيطانٍ مَـرِيد
وإذا انتقلـت عبثـت بالــ كعْـك المجفّـفِ والقَـدِيـد
يارَبّ أنـــتَ رَزَقْتَنِيـــى هَـذَا عَلَى رَغْـمِ الحَسُـود
واعلـم بأنّــك إن قُتِلْـــ تَ نَعِمْـتَ ياعبد الحميـد

وراء الوليمة حتى ولو فى السِّـند !

وأنشد الكرجى لبعضهم[1] :

لا تَسْـمَعَنّ بدعـوةٍ ووليمـةٍ فى السِّنْد إلا كنت ممن يجمـع
حتى تفـوزَ بما لَدَيْهم عَنْـوةً وقلوبهُـم حَقًّـا عليك تَصَـدّعُ
وعليـكَ بالفـالوذِ عند حُضُورِه ودَعِ البُقُـولَ فإنها لا تنفـع
والجَدْىَ فاضرِبْ فيه ضربك فى العِدىٰ لا تُقْلِعَـن عنه إذا قالوا : ارفعوا
وهريسـةِ الخبـازِ فاقصِدْ نَحْوَهَا فهِيَ الأمـانُ من الخـوى يا مَرْبَعُ[2]
واتـرُكْ موائـدَهم بأكـلك بلقعـاً تَشْـكُو الخـواء ومن دُعُوا لم يشبعوا

وهــذه وصيـة بنـان !

وقال بعضهم : قال رجل لبنان أوصنى ، فقال : لا تنادمنّ أحداً ، فإن كنتَ لا بُدّ فاعلاً فنادم :

---

(١) الكرجى : هو محمد بن على بن عبد الله الكرجى .

(٢) الخوى : الجوع ، والخواء : الخلاء . وفى المثل : أبشر بطول سلامةٍ يا مَرْبَعُ!

● من لا يستأثر عليك[1] بالمخ ..

● ولا ينتهز بيضة البُقَيْلَة[2] ..

● ولا يلتهِم كَبِدَ الدجاجة ..

● ولا يختطفُ كُلْيةَ الجَدْى ..

● ولا يزدردُ قانصة[3] الكُرْكِيّ ..

● ولا يقتَطِعُ سُرّةَ الشَّصَر

● ولا يعرض لعيون الرؤوس[4] ..

● ولا يستولى على صُدُور الدجاج[5] ..

● ولا يتناول إلا ما بين يديه ..

● ولا يلاحظ ما بين يدى غيره ..

● وإن أُتي بجنب[6] شواء كسح كل شيء عليه ! ، لا يرحم ذا سِنٍّ لضعفه ، ولا يرق على حدثٍ لحدّةِ شهوته ، ولا ينظر للعيال[7] ، ولا يبالى كيف دارت بهم الحال !!

---

(١) لا يستأثر عليك بالمخ : لا ينفرد به دونك .

(٢) بيضة البقيلة : قال أبو منصور الثعالبى فى كتابه (**ثمار القلوب ، فى المضاف والمنسوب**) : بيضة البقيلة تذكر فى عيون الأطعمة . ولا يستحسن المبادرة إليها . هجا الحمدونى طفيلياً فقال : ويبدرهم إلى بيضة البقيلة .ا.هـ . وهى على صيغة التصغير . وفى حاشية لعيون الأخبار فى الأصل : البيضة المقلية .

(٣) قانصة الكُركي : القانصة للطير كالمعدة لغيره . والجمع قوانص . والكُركى ضربٌ من الطير ، يقربُ من الإِوَزّ ، أبتر الذَّنب ، رمادى اللون ، والجمع كراكى . الشصر من الظباء : الذى قد قوى وتحرك ، والجمع أشصار .

(٤) ولا يعرض ... الخ ، أى ولا يتعرض لعيون الرءوس التى على المائدة أى بأن ينتزعها منها .

(٥) وفى (عيون الأخبار) الدارج ، بدل الدجاج ، جمع دراجة بوزن رمانة . طائر جميل المنظر .

(٦) (جنب شواء) ، يريد جنباً من الشاة مشوياً ، وفى اللسان .. والتنور مملوء جنوب شواء . هى جمع جنب يريد جنب الشاة . ا. هـ .

(٧) (ولا ينظر للعيال) : لا يرق لهم ، ولا يعطف عليهم ، بل يستأثر بالطيبات دونهم ، ولا يبالى حرمانهم .

وهذى وصية بعض الطفيليين لغلامه مصحوبة بأطيـب الأمـانى !

وعن محمد بن عبيد الله الشيرازى أن بعض الطفيليين مرض ، فقال له غلامه : أوصِنى !

قال : مَنّ الله عليك بصحة الجسم ، وكثرة الأكل ، ودوام الشهوة ، ونَقَاء المعِدَة !

ومتّعك بضِرس طَحُون ، ومَعِدَةٍ هضوم ، مع السَّعَةِ والدّعَة، والأمن والعافية !

إذا قعدتَ على مائدة ، وعَزب عنك الماء ، فغصَصْت بلقمةٍ ؟ فضع يدك اليمنى فوق رأسك ، وحركها كأنك تُسَوّى كمك ؛ فإنها تنزل بإذن الله تعالى !

وإذا قعَدْت على مائدةٍ ، وكان موضِعُك ضَيّقاً فقل للذى إلى جانبك :

يافلان ! لعَلّى قد ضَيّقْتُ عليك ! ؛ فإنه يتأخر إلى خلْف ، ويقول : سبحان الله ! ، لا والله موضِعى واسع ! فيَتَّسِعُ عليك موضع رجل .

ولا تُصَادِفَنّ من الطعام شيئاً فترفع يديك عنه ، وتقول : لعلى أصادفُ ماهو أطيبُ منه !

فقال : زدنى !

قال : إذا وجدتَ خبزاً فيه قِلّة ، فكل الحروف ، وإن كان كثيرا فكل الأوساط .

ولا تُكْثِر شربَ الماء ، وأنت تأكل ؛ فإنه يمنعك من الأكل وهذا عين الحماقة !

قال : زِدْنى !!

قال : إذا وجدتَ الطعامَ فكلْ منه أكل من لم يرَهُ قطّ ، وتزود منه زاد من لا يراه أبداً .

قال : زدنى .

قال : إذا وجدت الطعام مطبوخاً فاجعله زادك إلى الله تعالى ولا تأكل « الكرمازك » مطويا فإنه يعذبك !

كُلْه مُشَوّشاً حتى تقَعَ عليه الأضراسُ[1]، وهو أخف فى المضغ . وإذا دخلت إلى عُرسٍ كثير الزحام فمُرْوانَهَ . وإن كان البوّاب غليظاً وقَاحاً فمُره وانهَهُ من غير أن تعنُفَ عليه ، ويكون كلاماً بين النصيحة والإدلال ؛ فإنى دخلت يوماً إلى بعض الولائم ، وعنده بغيض ـ يعنى الخباز ـ وكنت عليه واجداً من شيء فعله ، فجئت وقد عمل «بزماورداً» ليضعه وسط المائدة عند الفراغ من الطعام لَيطلب الراش ، فقلت له : استأذنتَ فى هذا صاحَبنَا ؟! ـ وما كان عرفنى بعد ، ولا يدرى من أنا ـ

فقال : يا شيخ !

وهذا مما يستأذن فيه أحد ؟!

قلت : إنك لجاهل أحمق ! صاحب الوليمة لا يرضى بهذا !! ، وهذا مما لا يجوز أن أكتمه ، ولولا خوفى لائمته ، لم آسف بشيء يصير إليك !

فقال الخباز : فهل لك أن تكفينى مؤنته ولك نصف ما أصبت ؟!

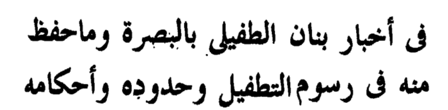
قلت : أفعل ، ولزمتهُ ، وجعلت آكل كلّ شيء أشتهى منه ، ومن غيره ، وصرت أيضاً أشتّم وآمر وأنهى .

وكان الخباز يظُن أن بينى وبين الرجل حُرمة ، أو قرابة للمرأة ، وقاسمت الخباز ، وأخذت منه نصف ما أصاب ، ثم عرفنى بعد ذلك وصالحنى !



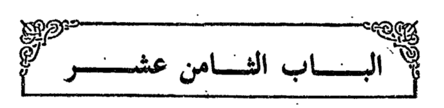
(١) جاء فى كتاب الألفاظ الفارسية المقرّبة : الكَرْماذَج : ثمرة الطرفاء . وقال فى البرهان القاطع : إن عربيّته «حَبّ الأثل» أما الكرمازك فلعله نوع من الخبز وينصح بعدم طيه ، حتى تتمكن منه الأضراس ويسهل مضغه !

الباب الثامن عشر



فى أخبار بنان الطفيلى بالبصرة وماحفظ منه فى رسوم التطفيل وحدوده وأحكامه

- شخصية بنان وأصله .
- نموذج من اهتماماته المبكرة !
- بين بنان ووكيع .
- نصيحة ليحيى بن معين .
- لقاء بين بنان وزعيم الطفيليين :
- لاتنادم هؤلاء ..
- دستور التطفيل !
- وصايا ونصائح ومحظورات !
- رثاء بنان .
- طرائف ونوادر !



الباب الثامن عشر

فى أخبار بنان الطفيلى ، وماحُفِظ عنه فى رسوم التطفيل وحدوده وأحكامه

اسم بنان ، ولقبه وكنيته ، وأصله :

اخْتُلِف فى اسم بنان فقيل : «عبد الله بن عثمان» . وقيل : «على بن محمد بن عثمان» . ولقبه : «بنان» . ويكنى : «أبا الحسن» .

وكان أصله مَرْوَزِيًّا .

وهو بغدادى الدار .

وقد روى أخباراً أسندها عن جماعة من أهل العلم .

نموذج من اهتماماته المبكرة :

قال الحسن بن على بن صالح : سمعت «بنانا» يقول : حفظت القرآن كله ، ثم أنسيته إلا حرفين : ﴿آتنا غداءنا﴾[1]

وقال أحمد بن الحسن بن على المقرى :

سأل أبى «بنانا» وأنا أسمع :

أتحفظ من كتاب الله ؟ قال : نعم : آية .

قال : ماهى ؟ قال : ﴿قال لفتاه آتنا غداءنا﴾

ماذا كان يحفظ من الشعر ؟

قال له : هل تحفظ من الشعر شيئا ؟

قال : نعم . قال : ماهو ؟ قال :

نزوركُم لانكافئكم بجَفْوتكم إن المحِبّ إذا لم يُستزَرْ زارا[2]

(١) وهى الآية التى خاطب بها موسى فتاه من سورة الكهف/٦٢ . والمراد بالحرفين : كلمتين

(٢) يستزرْ : يُدْعَ إلى الزيارة . فإن لم يزره أحد وقوطع فإنه لا يرد بالمثل .

ذكر ما أسْنَد بنان من الأخبار :

عن على بن سُحَيْم الشعبى قال : ذكروا عند عمر بن الخطاب ــ رضى الله عنه ــ طعام العرس ...

فقيل : ياأميرَ المؤمنين ! ما بالُ طعامِ العُرس فيه طعم لانجده فى غيره ؟!

فقال عمر : دعا فيه النبى ﷺ بالبركة .

ودعا له إبراهيم خليل الرحمن أن يبارك الله تعالى فيه ويطيبه ؛ لأن فيه مثاقيل من طعام الجنة .

قال الخطيب البغدادى : روى هذا الحديث من وجه آخر عن عمر ــ رضى الله عنه ــ وروى ابن عبد الصمد عن ابن رومان قال : سئل عمر بن الخطاب ــ رضى الله عنه ــ عن طعام العُرس ، فقيل : ياأميرَ المؤمنين ! ما بال طعام العُرس أطيب من ريح طعامنا ؟

فقال عمر : «سمعت رسول الله ﷺ يقول : «**فى طعام العرس مثقال من ريح الجنة**»[1] .

وقال عمر ــ رضى الله عنه ــ : دعا له إبراهيم خليل الرحمن ، ومحمد ﷺ أن يبارك الله تعالى فيه ويطيبه .

خصال فى الطعام ينبغى للمسلم تحصيلها :

وعن ابن المبارك ، وربيع عن الحسن قال : اثنتا عشرةَ خَصْلة فى الطعام ، فينبغى للمسلمين أن يتعلموها :

أربعة منها فريضة ، وأربعة سنة ، وأربعة أدب . فأما **الفريضة** : فالتسمية[2] ، والمعرفة ، والرضا ، والشكر .

(١) انظر : الجامع الصغير للسيوطى حديث (٤٠١٨) وضعفه الألبانى .

(٢) جاء فى رياض الصالحين للنووى باب التسمية : عن عمر بن أبى سلمة ــ رضى الله عنه ــ قال : قال رسول الله ﷺ : «**سم الله ، وكل بيمينك ، وكل مما يليك**» متفق عليه .

وأما **السنة** :

فالجلوس على رجله اليسرى ، والأكل مما يليه ، والأكل بثلاثة أصابع[1] ، ولعق الأصابع إذا فرغ .

وأما **الأدب** :

فغسل اليدين ، وتصغير اللقمة ، والمضغ الشديد ، وقلة النظر في وجوه أصحابه .

بين بنان ووكيع :

● وعن محمد بن عبد العزيز عن محمد بن دينار قال : سمعت وكيعَ بن الجراح يقول : سمعت « بنانا » الطفيلى يقول :

ـ وأنا معه على مائدة آكل ، فقال لى :

ياوكيع ! ويلك !

أنت نافذ الحديث ، وفقيه العراق ، تأكل باذنجان يباع مائة بدانق[*] ، وتدع صدور الدجاج التى تباع كل دجاجة بدينار ؟! ماأقلّ علمك !!

● وقال محمد بن دينار : سمعت وكيع بن الجراح يقول : قال لى بنان الطفيلى : ياوكيع ! « التمكن على المائدة خير لك من زيادة أربعة ألوان »

رأى الخطيب البغدادى فى هاتين الروايتين السابقتين عن وكيع :

قال الخطيب : فى هاتين الحكايتين تخليط شديد ؛ لأن بنانا كان بعد وكيع بن الجراح بدهر بعيد ، وزمان طويل ، وذلك أن « **وكيعاً** » توفى سنة ست وتسعين ومائة ، وكان « **بنان** » فى حدود الثلثمائة .

والحكاية الثانية محفوظة عن « بنان » عن « سعيد السمين » عن « وكيع كذلك »[2] .

---

(١) وجاء فى مسلم ـ باب استحباب الأكل بثلاثة أصابع : عن كعب بن مالك ـ رضى الله عنه ـ قال رأيت رسول الله ﷺ يأكل بثلاثة أصابع فإذا فرغ لعقها » . (*) الدانق : سدس الدرهم .

(٢) قال : سمعت وكيعا يقول : التمكن على المائدة .. الخ .

أيهما خير ؟!

● وعن أحمد بن الحسن بن على المقرى قال : حدثنى بنان الطفيلى قال : حدثنى سعيد عن وكيع قال : التمكن على المائدة خير من زيادة ثلاثة ألوان . والسميذ الأبيض أحلى من السميذ الأصفر[1] .

نصيحة من يحيى بن معين يتناقلها الرواة :

● وعن ابن المقرى أيضا ، قال : سمعت بنانا يقول : حدثنى عباس الدورى قال : سمعت يحيى بن معين[2] يقول : «الأكل مع الإخوان لا يضر»

● وعنه أيضا قال : حدثنى بنان ، وهو على بن محمد بن عثمان الطفيلى قال :

حدثنى جعفر الطيالسى قال : سمعت يحيى بن معين يقول : إذا دخلت على أخيك فاجلس مكان يُقْعِدك ، واشرب مما يسقيك ، وكن خفيف المؤنة .

وإذا أكلت فانتشر ، ولا تتعدّ فتثقل عليهم فى مجلسهم ! .

● قال : وسمعت بنانا يقول : قال لى عباس الدورى والصاغانى ، قال يحيى بن معين : الحِشمة فى الطعام فى منازل الإخوان باردة ، ولا أعرف لها وجها ، والصوم فى منازل الأصدقاء ــ أو قال الإخوان ــ من الثقل ، والنفاق ، والرياء ! .

خبر بنان بالبصرة (مع عريف الطفيلية) .

● عن أبى حامد بن العباس قال : حدثنى «بنان» الطفيلى قال : دخلت البصرة فقال أحد الناس : إن ههنا عريفا[3] للطفيلية يبرّهم ، ويكسوهم ، ويُرشدهم إلى

---

(١) السّميذُ : القمح المجروش ، وهو لغة فى السميد (معرب) وهو لباب الدقيق .

(٢) يحيى بن معين (١٥٨ ــ ٢٣٣ هـ) البغدادى أبو زكريا . حافظ للحديث . كان أحد الأئمة فيه . ونعته الذهبى بسيد الحفاظ . قال الإمام أحمد بن حنبل : يحيى بن معين أعلمنا بالرجال (رجال الحديث) . وقال يحيى : كتبت بيدى ألف ألف حديث . توفى بالمدينة حاجًا ، وصلى عليه أميرها .

(٣) عريفا : شيخا للمهنة أو رئيسا للطفيليين . والعريف . القائم بأمر القوم ، وسيدهم . وهو بلغة العصر نقيب الطفيليين .

الأعمال ، ويقاسمهم ، فصرت إليه ، فبرنى ، وكسانى ، وأقمت عنده ثلاثة أيام ، وله خلق يصيرون إليه بالزّلات[1] فيعطيهم النصف ، ويأخذ النصف .

فوجهنى معهم فى اليوم الرابع ، فحصلت على موضع وليمة ، فأكلت ، وأزللتُ[2] معى شيئا كثيرا ، فجئته به ، فأخذ النصف ، وأعطانى النصف ، فبعت ماوقع لى بدراهم .

ولم أزل على هذا أياما ، ثم دخلت إلى عرس جليل ، فأكلت وخرجت بزلّةٍ حسنة ؛ فلقينى إنسان فاشتراها منى بدينار ، فأخذته ، وكتمت أمره ، فدعانى جماعة الطفيلية ، وقالوا : إن هذا البَغدادى قد خان ! وظن أنا لا نعلم كل شىء يفعله ، فاصفعوه ، وعرفوه ماكتم عنا ، فأجلسونى ـ شئت أم أبيت[3] ـ فمازالوا يصفعوننى واحدا بعد واحد ! .

ويقول الأول منهم : قد أكل مَضيرة[4] !

ويصفعنى الآخر ، ويشم يدى ويقول : وأكل بقيلة[5]

ويقول الآخر : وأكل سميذاً[6] ، حتى جاءوا بكل شىء أكلته ماغلطوا بزيادة أو نقصان !

ثم صفعنى شيخ منهم صفعة عظيمة وقال : باع الزلة بدينار[7] !

وصفعنى آخر وقال : هاتِ الدينار ، فدفعته إليه ، وأخذ ثيابى التى كان أعطانيها ، وقال : اخرج ياخائنُ فى غير حفظ الله !

قال : فخرجت إلى السفينة وجئت إلى « بغداد » ، وحلفت ألا أقيم ببلد يعلم طفيليوه الغيب[8] .

(١) الزلات : جمع زلة . الوليمة والعطية ، وما يحمله الطفيليون من الولائم إلى منازلهم .

(٢) أزللت : حملت معى إليه .

(٣) على الرغم منى لمحاكمتى على ما فعلته من بيعى ما حملته من المائدة بدينار ، وكتمان أمر ذاك الدينار !

(٤) المضيرة : مرقة تطبخ باللبن .

(٥) البقيلة : يسمونها المشئومة كما جاء فى «نثر الدر» فى ألقاب الأطعمة وغيرها على مذهب الطفيليين .

(٦) السميذ : لباب البُر .

(٧) ويظهر أن العريف قد أحكم الخطة ، وشدد الحصار على أتباعه ، وجعل عليهم عيونا ترصد تحركاتهم ، وتأتيه بكل المعلومات بحيث لا يخفى عليه من أمرهم شىء !

(٨) يقصد : ما حدث مما يخفيه الإنسان عن غيره ، وعلم ذلك يقع فى دائرة الممكن كما قال زهير : =

ماحفظ عن بنان فى رسوم التطفيل وحدوده وأحكامه:

إحدى وصـايا بنـان :

● فمن ذلك قوله فى طبقات المنادمين والمعاشرين ، وهو ماحدث به أحمد بن الحسن بن المقرى قال : سمعت «بنانا» يقول : «لاتنادم حائكا ، ولا حَجّاما ، ولا خياطاً ، ولا مكاريا ، ولا دلّالا[1] ! ؛ فإن **الحائك** يقطع يومه وكلامه : عملنا فى الثوب الفلانى بَهلوكين ، وعملنا فيه ثلاثة بهاليك ، وخمسة حتى يعد عشرة بهاليك[2].

وغدا يقطع الثوب ــ إن شاء الله تعالى ــ هو بالثلث ودرهم ، بالثلث ودرهمين ، بالثلث وثلاثة . بالنصف ودرهمين . بالنصف وثلاثة دراهم . والثوب قليل العرض ، وهو خفيف !

ولم نَدُقّه ، ولم نحكّه ، وهو جريش[3] .

فيومه أجمع فى الثوب : قطعناه ، وبعناه ! ؛ فلا يكن بينك وبين هذا الصِّنف عمل !

وأما الحجّام فمنذ يقعد إلى أن يقوم ، فإنما هو فى غيبة الناس : حجمنا فلاناً وأعطانا درهما ، وحجمنا فلانا وأعطانا نصف درهم ، وأخذتُ شعر فلان فأعطانى نصف درهم ، وشعر فلان فأعطانى درهما ، وفلان سخى ، وفلان بخيل ، ويتكلم بكل فضول[4] .

وأعلم علم اليـوم والأمس قبلـه ولكننى عن علم ما فى غد عمِى

وفى التعبير تجوز مستلمح طريف ، ولا يعلم الغيب إلا الله .

(١) الحائك : النساج ، والحجام : الذى يعالج بالحجامة وهى امتصاص الدم بالمحجمة (القارورة التى يجمع فيها دم الحجامة) . والمُكارى : بضم الميم : مُكْرى الدواب ومؤجرها ، ويغلب على الحمّار ، والبغّال . والدلال : من ينادى على السلعة ، لتباع بالممارسة ، وبائع الجوارى .

(٢) المراد أن كلامه لا يدور إلا حول عمله ومهنته وما أنجزه فى يومه وما يحققه من مكاسب مما لا يدخل فى دائرة اهتمامات من ينادمه !

(٣) جريش : أى خشن لم ينعم ، فلا حديث له إلا عَمّا تم نسخه من الثوب ، وعن ثمنه ، وصفته ، فكيف ينتظر منه أن ينادم ويسامر ؟ !

(٤) فضول الكلام ، مالا فائدة فيه للسامع ، ولا جدوى من وراء سماعه .

وأما المُكَارِىّ : منذ يقعد إلى أن يقوم أكريْنا بدانق ، أكرينا بدانقين ، أكرينا بنصف دانق ، فلا يزال يقول : أكرينا إلى درهم وأكثر !

ويحتاج الحمار إلى نصف درهم مكوك شعير ، أو حمل قت ، فيذهب النهار أجمع بالفضول[١] .

وأما الخياط : فمنذ يقعد إلى أن يقوم فهو فى غِيبَةِ الناس وذكرهم بالردىء : فلان يحب فلانة ، وفلانة تحب فلانا ، وقطعنا لفلانة المغنية ثوبا ، وفلان يتعشقها قطع لها ثوب قصب ملحفة[٢] ؛ وبعث إليها بثوب مروزى[٣] . فلا يزال فى غيبة الناس منذ يقعد إلى يقوم !

أما الدلال ؛ فإنه يقول : بعنا دار فلان بكذا ، وبعنا جارية فلان بكذا ، وفلانة مُقْنَعة ، وفلان مُقْنَع[٤] ؛ فمنذ يقعد إلى أن يقوم ، وهو فى غيبة المسلمين !

وحبس المحتسب[٥] فلانا ، وفلانة ، فيقطع مجلسه بهذا ونحوه !

ياأخي ـ فدتك نفسي ـ لاتصحب من هؤلاء السفل فيذهبون بجاهك عند إخوانك ، وأهل الثقة من أصحابك .

إصحب ـ فدتك نفسى ـ بزاراً ، عطاراً ، صيرفيًّا ، أنماطيا ، قطاناً ، دقاقا ، صيدلانيا : فهذه وصيتى إليك[٦]

---

(١) أى اللغو والزائد من القول . حيث يتحدث عن أجرة الكراء ، وتفاوت الناس فيما يدفعون ، وعما يستهلكه الحمار من دراهم مقابل العلف وأكرينا : أى أجرنا . والدانق : سدس الدرهم (فارسية) . والمكوك : مكيال يسع صاعاً ونصفاً ، وحمل قت : نبات عشبى تعلفه الدواب .

(٢) الملحفة : ما يلتحف به فوق الثوب .

(٣) مروزى : نسبة إلى «مَرْو» وكانت هناك ألوان من الثياب تنسب إليها كما تقول فى عصرنا : حرير يابانى .

(٤) فم مُقْنَع : أسنانه معطوفة : إلى داخل .

(٥) المحتسب : من كان يتولى الحسبة ، وهى وظيفة كان يتولاها فى الدول الإسلامية رئيس يشرف على الشئون العامة من مراقبة الأسعار ، ورعاية الآداب .

(٦) البزار : بائع البزور . والعطار : بائع العطر ، ويطلق على بائع الأفاويه . والصيرفى : صراف الدراهم . تاجر العملة . والأنماطى : الذى يبيع النمط وهى البُسُط أو الثياب الصوفية التى تطرح على الهودج ، أو الأوعية التى تشبه السفط . والقطان : بائع القطن ، والدقاق بائع الدقيق أى الطحين ، والصيدلانى من يُعد الأدوية المركبة أو يقوم ببيع الأدوية .

قوله فى تقديم الوقت لحضور الدعوة

● قال أحمد بن الحسن المقرى : وأوصى بنان رجلا فقال : «إذا دعيت إلى وليمة ـ إن شاء الله ـ فإياك ، ثم إياك أن تتأخر إلى آخر الوقت ، وتتشاغل ، وتسترخى ، وتتثاقل ، وتقول : الساعة .. وإلى الساعة .. وأَيْش فاتنى ؟ .. وبعد .. ماجاء أحد .. ، ومالى أكون من السبق ! ؛ وأول من يوافى ؟! ولم أكون أول الناس ؟! ..... ومثل هذا وأشباهه ، فيخطىء حظك ، ويسىء اختيارك ، ويضيع يومك ، وهذا فعال الحمقى القليلى الحزم[1] .

فإذا دعاك صديق لك فاستخِرِ الله ، وكن من السبق ، وأول من يوافى ، واقبل وصيتى فإنك ترشد ، وتتبين الصلاح إن شاء الله تعالى !

مزايا المسارعة والمبادرة :

واعلم أنه ليس يجىء فى أول الأوقات إلا جِلَّةُ[2] الناس ، وسَراتُهم[3] :

كاتب ، وبزار ، وعطار ، وسرّاج[4] ، وأنماطىّ ، ونحوهم ، فقعودك مع مثل هؤلاء فائدة ، وأنت معهم آمن مطمئن مسرور ، تسمع كل حديث حسن ، وخبر ظريف ، وأنت ريّح[5] البدن ، واسع الموضع ، طيب المكان ، قاعد مع هؤلاء على أول مائدة !

والزم هذه الطبقة ، لايُزايل سوادُك بياضَهم[6] فتهلك ، وأنت إن لم تربح لم تخسر !

---

(١) لا تدع الخواطر المثبطة تحول بينك وبين المسارعة والمبادرة إلى الموائد !
(٢) جلة : جمع جليل وهو العظيم .
(٣) سَراتهم : جمع سَرِىّ وهو الشريف .
(٤) السَّرّاج : بائع السروج وصانعها .
(٥) الريّح من الأيام والأمكنة الطيب الريح .
(٦) كناية عن الملازمة والمتابعة .

مزايا القعود على أول مائدة :

وقعودك على أول مائدة فيه خصال كثيرة محمودة : اعلم يا مُغَفّل[1] ! أنك تأكل رءوس القدور ، وكل شيء كثير !

والقدورُ ملآنة ، والماء بارد ، والخباز نشيط ، وربّ المنزل فرح مسرور ، وكل شيء من أمرك مستور ، وموضع واسع ، وأنت مع قوم كأنهم الدنانير ، احيا[2] من الأبكار ، لا يخفى عليهم طيب الأطعمة ، ولذيذ الأشربة ، فالأكل مع هؤلاء فى غنيمة وسلامة ، وتهنأ بكل شيء يؤكل ويشرب !

وإذا أسرعت فى ذهابك فرجت عن صاحب الوليمة بسرعتك ، ولم تقلق قلبه ، وقضيت واجب حقه !

مضـــار التـــأخر :

وإن تأخرتَ أو تكاسلتَ إلى آخر الوقت فقد عطبت[3] وهلكت ، وضيعت ، وتوانيت :

اعلم أنك تصادف الطعام باردا وهو فضلات القدور ! ، والرقاق بقايا عجين قد استعملوا الجيد ، والماء ساخن ، وصاحب الوليمة ضجرا متبرماً ، فنجمك فى ذلك الوقت فى الاحتراق[4] !

الجلوس على آخر مائدة ، وما فيه من مساوئ

واعلم ياأخى أن الجلوس على آخر مائدة[5] يضيق بهم المكان ، ويقل الطعام

---

(١) المغفل : من تعتريه الغفلة عما فيه فائدة له ، ومصلحة تعود عليه .

(٢) أحيا : أشد حياء ، وفى حيائهم يكون أمامه ما يشاء من الأطعمة دون منافس !

(٣) العطب : الهلاك .

(٤) نجمك فى أفول .

(٥) كانت الموائد تمد واحدة تلو الأخرى ، وكلما انتهى فريق تلاه فريق آخر ، ويقدم الأشراف والوجهاء وأصحاب المكانة ، أما الآن ، فتقام حفلات الأعراس فى الفنادق والأندية وفيها متسع للجميع وإن كان يراعى فيها تصدر أصحاب المكانة .

لان حكم المائدة عشرة ، فيقعد ثلاثون ، ولا يقدر الرجل أن يأكل من اللون أكثر من اللقمة لقلته ، وكثرة الأيدى عليه ، فموضعك أضيق من جوفك !

فإذا قال لهم صاحب الوليمة : قُوموا ، سَارِعُوا إلى الخوان ، فانبسطوا فى ميدان المضغ ، ورفعوا قِناع الحشمة ، وألزقوا الأكتاف بالأكتاف ، وكأنهم بنيان مرصوص ، يأكلون ميمنة ، ومَيْسرة ، وقلبا ، وتدور أيديهم على الخوان شرقا وغربا[١] ، وتسمع للقوم فى حلوقهم قعقعةً ! ؛ وذلك لأنه لا يقعد على آخر مائدة إلا ضعيف الجيران ، ومساكين المَحَلّة والقوم[٢] !

فإن كان لهم جِدَاءٌ وحُملان[٣] ، فليس يقدم إليهم إلا شرها :

يقدم الجدى أضلاعاً بلا لحم ، فوقه جلد ، وحوله خس وهندبا[٤] ، كأنه كوخ ناطور[٥] قد وقع خشبه ، وبقى القصب قائما .

فأيش يكون حال من له أدنى مروءة مع هؤلاء ! لا يأكل قليلاً ولا كثيراً ، فيقوم من الخوان ، وفؤاده أخلى من فؤاد أم موسى !

جائع نايع[٦] ما معه من العُرس إلا شمّ الطعام ، وتمشيش العظام[٧] !! وإنما شرحت لك لتفهم !!

واعلم أنى قد نصحتك غاية النصيحة ، وبينت لك ما بَيّن سفيان الثورى فى جامعه ؛ فافهم تعلم ، وتعلم بأدب .

---

(١) دون مراعاة لآداب المائدة .

(٢) المَحَلّة : منزل القوم الذى يحلون فيه . والمراد بضعيف الجيران : ضعيف الشأن . ومثلهم المساكين فإنهم يرجعون إلى الآخر حيث تكون فضلات الطعام وما يبقى بعد أكل السابقين ! وهذه وصية مجرب خبير !

(٣) جِداء : جمع جدى ذكر الماعز ، والحملان : جمع حَمَل : الصغير من الضأن .

(٤) الهِنْدبَا : بقل زراعى يطبخ ورقه ، أو يجعل [سَلَطَة] .

(٥) الناطور : حافظ الكَرْم ونحوه . والمراد أنه لا يقدم لهم إلا هيكل عظمى جرد مما عليه من اللحم . والقصب : الغاب .

(٦) نايع : مائل ، ولعلها إتباع لجائع .

(٧) يقال مشّشَ العظم : امتصه ليستخرج منه المخ ، وماقد يكون بقى عليه من لحم .

متعك الله بسعة الصدر ، وطيب الأكل ، والصبر على المضغ ؛ فإنها دعوة مغفول[1] عنها !

قوله فى تَخَيّر المواضــع :

قال : إذا دعاك صديق لك فاقعد يمنة البيت ، فإنك ترى كل ما تحب .

وأنت تسُودُهم فى كل شىء ، وتسبقهم إليه .

وأنت أول من يغسل يده والخوان بين يديك ، وأول القِنِّينَة أنت تشربه !

والبقل الجيد يوضع قدّامَك !

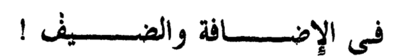
وأول من يتبخر أنت !

وإذا خرجت إلى الخلاء لا تحتاج إلى أنْ تخطّاهم ذاهبا وجائيا .

وأنت فى كل سرور حتى تنصرف !



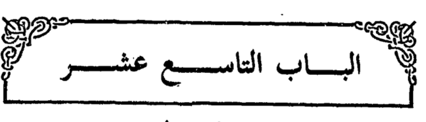
(١) مغفول عنها : أى قل أن «يدعى لك بها ، ولذا أراك فى حاجة إلى الدعاء بمثلها» .



الباب التاسع عشر

في الإضافة والضيف !

- منزلة الضيف .
- رسوم الضيافة وتقاليدها .
- ترك التحميد وسط الأكل .
- من أحسن ما قيل فى إكرام الضيف .
- البشاشة وحسن اللقاء .
- البسط وتبادل أطراف الحديث .
- تعجيل الطعام للضيف .
- تأجيل الغداء إلى العشاء !
- إكرام مطية الضيف .
- بذل الطعام أولا بأول .
- من الأمثال السائرة
- ما قيل فى ذم البخل والبخلاء !!



الباب التاسع عشر

(فى الإضافة والضيف)

منزلة الضيف :

● جاء فى الخبر : «الضيف دليل الجنة» .

● وفيه : «ضيف بَشوش هدية من الله تعالى» .

● وفيه : «لا تتكلفوا للضيف فتبغضوه ، ومن أبغض الضيف أبغضه الله»[1] .

● وكان يقال : «إكرام الأضياف من عادات الأشراف»

● وكان شقيق البلخى يقول : «ليس شيءٌ أحبَّ إلىّ من الضّيف ! ؛ لأن مؤنته على الله ، ومحْمَدَته لى !»[2] .

● وكان يحيى بن مُعاذ يقول : لو كانت الدنيا فى يدى لوضعتها فى يد ضيفى !

رسوم الضيافة ، وتقاليدها :

● وكان إسحق الموصلى كثيرا ماينْشد :

وإذا طُرِقْتَ فما حضر   وإذا دعوت فلا تَذَر

● وممّا يُسْتَحْسَنُ لبعضهم :

---

(١) لم أقف عليه بهذا اللفظ ، ولكن هناك ماأخرجه البيهقى فى الشعب عن سلمان كما فى الفردوس (٧٧٠٥) : «**لا يتكلفن أحد لضيفه ما لا يقدر عليه**» ، والخطيب فى تاريخ بغداد (١٠/٢٠٥) ، وأورده الهندى فى الكنز برقم (٢٥٨٧٦) .

(٢) وقد ذكر العجلونى حديثا يشير إلى هذا المعنى وهو «إذا دخل الضيف على قوم دخل برزقه ، وإذا خرج خرج بمغفرة ذنوبهم» . قال السخاوى : رواه الديلمى بسند ضعيف عن أنس مرفوعا وله شاهد عند أبى الشيخ .

وما أحسن قول الشاعر :

لم لاأحِبُّ الضيفَ أو   أرتاحُ من طَرَبٍ إليه
والضيف يأكل رزقه   عندى ويشكرنى عليه ؟!

قدّم طعامك وابذلْه لمن دَخلا … واحْلف على من أبىَ ، واشكر لمن أكلَا
ولاتكُنْ سَابِرِىّ العِرض محْتشما … من القليل ، فلست الدهرَ مُحْتَفِلَا[١]

ترك التحميد فى وسط الأكل :

● ويقول الآخر فى «ترك التحميد» فى وسط الأكل على المائدة مع الأضياف :

وحمدُ الله يحسنُ كُلّ وقتٍ … ولكن ليس فى وقت الطعامِ
لأنك تجشمُ الأضياف عنه … وتأمرهم بإسراع القيامِ !
وتؤذيهم ؛فما قنعوا لشبع ! … وهذا ليس من خلق الكرام !

من أحسن الشعر فى إكرام الضيف :

● ومن أحسن ما قيل فى إكرام الضيف قول بعض الأعراب :

إذا ماصَنَعْت الزّاذ فالتَمِسى له … أكيلا ؛ فإنى لست آكِلَه وحدى !
وإنى لعَبْدُ الضيف مادام ثاوياً … ومافىّ إلا تلك من شيمةِ العبد[٢]

● وقول المحدث :

كونوا خَدَم الضّيفِ … إذا الضيفُ بكم نَزَل
وكونوا دونه الأضيا … فَ فالضيف له النّزُل[٣]

● ومن أحسن ما قيل :

رمَقْتُ الضيفَ لما قيل : ضيفٌ … لِحُبى للضيوفِ النازلينَا

---

(١) سابرىّ العرض : رقيقا . أى لا يكن عرضك شفافا كثوب سابرى نسبة إلى سابور (مدينة) . والبيت الأول يتضمن أربع وصايا تعد دستوراً لآداب الضيافة هى : تقديم الطعام ، وبذله لمن دخل زائرا ، والحلف على من يمتنع ، وشكر من أكل على تلبية الدعوة . أما البيت الثانى فهو يغلق باب التعلل بأعذار واهية فمن يخجل من القليل لن يحتفل بضيف طول الدهر !

(٢) ثاويا : نازلا ومقيما ، وأحفظ هذا البيت منذ الصغر :

وإنى لعبدُ الضيف مادام نازلا … وما شيمةٌ لى غيرها تشبه العبدَ

(٣) ويلتقى هذا البيت مع ما نردده تحية للضيف :

ياضيفنا لو زرتنا لوجدتنا … نحن الضيوفُ وأنت رب المنزل !

البشــاشة وحســن اللقــاء :

● ومن أحسن ما قيل فى البشاشة للضيف قول الحريمى :

أضاحك ضَيفى قبلَ تَنْزَالِ رحله فيخصُبُ عِنْدى والمحلّ جَديبُ
وما الخِصْبُ للأضيافِ أن يكثُر القِرى ولكنما وجـه الكـريم خصيب[1]

البسط وتبادل أطراف الحديث مع الضيف :

● ومن أحسن ما قيل فى «البَسْط» مع الضيف :

وَرُبَّ نِضْوٍ طرَقَ الحَىَّ سُرَى صـادفَ زاداً وحديثاً يُشْتَهى
إن الحـديثَ جـانِبٌ من القِــرَى[2]

● وفى الحديث عن «إنزال الضيف» قولُ الآخر :

يابَنِىَّ ! اســمعوا إذا ماأبوكُمْ عــاقه عائقٌ عن الأضيــافِ
فاكفلوهم ، ولو بروح أبيكم أو بقطع الأعضاء والأطراف !

تعجيل الطعام للضيــف :

● ومن أحسن ماقيل فى «تعجيل القِرِىَ وذم تأخيره» قول الآخر :

أسأتم وأبطأتم على الضيفِ بالقِرى وخيرُ القرى للنازلين المعَجَّلُ

● وقول المحدث :

قدم لضيفِكَ ما تيسَّر من قِرًى فالقُلّ عند ذوى الحجامرخى
إن الذى يسخو بيابس خُبْزِه وبما تيسَّر عنــده لسَخِــى[3]

---

(١) والمصريون يلحون فى أمثالهم الشعبية على هذا المعنى المستمد من السنة الشريفة فى حسن اللقاء ، وسعة الناس بقلوبنا فيقولون : «لاقينى ولا تغدّينى» .

(٢) القِرى بكسر القاف : طعام الضيف .

(٣) القُل : بضم القاف ، القليل . والحجا : العقل ، والسخاء : الكرم وقد ذكر العجلونى فى هذا المقام : =

تأجيل الغداء إلى العشاء !

● ومما يستحسن ويُسْتجاد «فى هذا المعنى» قول أحمد بن يوسف :

أبَني سعيدٍ إنكمْ من مَعْشَرٍ   لا يحْسِنُون كرامةَ الأضياف
مَطَلُوا الغداء إلى العشاء وقربوا   زاداً ـ لعمرُ أبيك ـ ليس بكاف !
بينا كذلك إذْ أتَى كبراؤهم   يَلجُون فى التبْذير والإسراف !

إكرام مطية الضيف :

● ومن أحسن ما قيل فى إكرام مطية الضيف قول الآخر :

مطيةُ الضّيفِ عِنْدى عِدْلُ صاحِبها   لا أكرمُ الضيفَ حتى أكرمَ الفرسَا[1]

بذل الطعام أولاً بأول !

● وقال جميل بن معمر :

ولست بتارك لغَدٍ طعاماً   حِذارَ غَدٍ لكُلِّ غَدٍ طَعَامُ

● وقال آخر :

وماهى إلا جوعة ثم شبعةٌ   فكل طعام بين جنبىّ واحدُ

● وقال آخر :

كُلُوا اليومَ من رزقِ الإلٰهِ واشربوا   فإن على الرحمنِ رزقُكُمْ غَدَا

● وقال آخر :

على كُلِّ حالٍ يأكُلُ المرءُ زادهَ   على البؤسِ ـ والسّراءِ والحَدَثانِ[2]

= «السخى قريب من الله قريب من الناس، قريب من الجنة، بعيد من النار والبخيل بعيد من الله بعيد من الناس، بعيد من الجنة قريب من النار». رواه الترمذى كتاب البر والصلة باب ما جاء فى السخاء (١٩٦١)، وقال الترمذى غريب . وإنما يروى عن عائشة مرسلاً وأورده الهندى فى كنز العمال برقم (١٥٩٢٨) وعزاه للبيهقى فى الشعب .

(١) عدل ـ بكسر العين : أى مساوية ومماثلة .

(٢) حَدَثانُ : الدهر : مصائبه .

ومن الأمثال السائرة :

وإذا تكون كريهة أُدْعَى لها ... وإذا يحاسُ الحَيْسُ يُدْعَى جُنْدُبُ ![1]

● وقال آخر :

كل شىء سوى اللحم زورُ ... فما هو إلا خدعة وغُرور

● وقال محمد بن بشير :

أكلـوا حتـى شَبِعُـوا ... حَمَلوا فضل الذى تركوا

● وقال منصور الفقيه :

رسم جرى فى الناس ليس بفاضلٍ ... جوع الجماعة لانتظار الواحدِ

● وقال آخر :

كلوا فى نصف بطنكُم تعيشوا ... فإن زمانكـم زمـن خميصُ[2]

ماقيل فى ذم البخلاء !!

● أهجى بيت للجاهلية قول الأعشى :

تبيتون فى المشتى مِلاءً بطونُكم ... وجاراتُكم غَرثى يَبِتْن خمائصًا[3]

● وأهجى بيت للمتقدمين قول الأخطل[4] :

قوم إذا استنبحَ الأضيافُ كلبهمُ ... قالوا لأمّهمُ : بُولِي على النارِ

---

(١) الحَيْس : تمر وأقِطٌ وسمن تخلط وتعجن وتسوى كالثريد . ويضرب المثل لمن يذكر عند الشدة ، وينسى عند الرخاء .

(٢) خميص : يقال خمص الجوع فلانا : أضعفه وأدخل بطنه فى جوفه فهو خميص .

(٣) جائعات .

(٤) قاله فى بنى يربوع رهط جرير كما قال ابن رشيق فى كتابه «العمدة» ؛ لأنه قد جمع فيه ضروبا من الهجاء ، فنسبهم إلى البخل بوَقود النار لئلا يهتدى بها الضيفان ، ثم البخل بإيقادها إلى السائرين والسابلة ، ورماهم بالبخل بالحطب ، وأخبر عن قلتها ، وأن بولة تطفئها ، وجعل بولة عجوز وهى أقل من بولة الشابة ، ووصفهم بامتهان =

● وأهجى بيت للمحدثين قول أبى نُوَاس :

على خُبز إسماعيلَ واقيةُ البخل ... فقد حَلّ فى دارِ الأمانِ من الأكل

وما خُبزُه إلا كآوَى يرى ابنه ... ولم يرآوى فى حزون ولاسَهْلَ

وما خبزه إلا كعنقاءَ مغرب ... يُصَوّر فى بُسْطِ الملوك وفى المثل

● وقال أبو العباس المصيصى :

رأيت أبا نوحٍ وقد ذكر القِرى ... فأرسَلَ عينيه وشابت ذوائبه

رأى الضيف مكتوبا فظن بأنه ... لتصحيفه طيف فقام يحاربه

ولأبى نُواس[1] :

خُبزُ إسماعيلَ كالوشى ... إذا ما شُقّ يُرْفَا

عَجَباً مِن أثرِ الصنـ ... ـعةِ فيه كيفَ يَخْفى

إن رفّاءك هـٰذا ... أحذقُ الأمّةِ كَفّا

فإذا قابل بالنصـ ... ـف من الجَرْدَقِ نصفَا[2]

مِثْلَ ماجَاءَ مِنَ التّنّـ ... ـورِ ماغَادَرَ حَرْفَا

أحْكَمَ الصّنْعَةَ حَتّىٰ ... لايُرى موضِعُ إشْفى

ولـه فى الماء أيضاً ... عملٌ أبدع ظَرْفَا

مزجه العَذب بماء الـ ... ـبئر كى يزدادَ ضِعْفَا

فهو لايَشْرَبُ مِنْه ... مثل مايَشْرَبُ صِرْفا

= أمهم وابتذالها فى مثل هذا الحال ، يدل بذلك على العقوق والاستخفاف ، وعلى ألا خادم لهم ، وأخبر فى أضعاف ذلك ببخلهم بالماء» .

واستنبح الأضياف كلبهم : جعلوه ينبح . وكان من عادتهم إذا أرادوا أن يعرفوا مكانهم ، أو أن يهتدوا إلى قوم يأوون إليهم فى الليل تعرضوا للكلاب ، فجعلوها تنبح ، حتى يهتدى أصحاب الكلاب إليهم فيؤووهم تلك الليلة ويضيفوهم .

(١) قال هذ الشعر فى إسماعيل بن نوبخت الكاتب . كاتب السر للأمين بعد أن نصب إسماعيل فى صحن داره بيتا من خشب كالقبة ، واصطبح فيه أربعين يوما ومعه جماعة منهم أبو نواس ، فبلغت نفقته أربعين ألف درهم . ثم قال أبو نواس بعد ذلك هذا الشعر .

(٢) الجردق : الرغيف .

الحمـــدونى :

رأيتُ أبُا زُرَارَةَ قـال يومـاً ... لحـاجبه وفى يـده الحُسـامُ
حلالُ الله من أهلٍ ومـالٍ ... عليه ، وكل نجـوى حـرامُ
لَئِن حضرَ الطعامَ ولاح شخصٌ ... لاحْتَطَـفْتُ رأسك والسلامُ
فقـالَ : سِوَى أبِيكَ فذَاك شيخٌ ... بغيضٌ ليس يردَعُه الكـلامُ
فقـال ؛ وقـام من حنق إليه ... بقَـدٌّ لم يَزِدْ فيـه القيــامُ
أبى ، وبوابى أو الكلب عندى ... بمنزلـةٍ إذا حضـر الطعــام !

ضيف عمرو ، وعمرو !!

● وفى معنى بيت الأعشى المتقدم ذكره فى هذا الباب يقول من جَوّده وحَسّنه :

ضيف عمرو وعمرو يسهران معاً ... عمرو لكِظَّتِه ، والضيف للجوع[1]

ماذا يقول للضيف؟

وقال آخــر :

إن عَمْراً يقول للضيفِ : ما الأكلُ ... وما الشربُ من فِعَالِ الظريفِ !
ما يُرَجَّى الفتى الظريفُ يشرب ما ... يُعيدُه إليه دخولَ الكنيف[2] ؟!

خشـــية الأضيـــاف !

ومن أحاسن الظرف والغرر قول من أنشد له صاحبه :

أقامـوا الدّيْدَبـانَ على يفـاعٍ ... وقالوا :ـ لاتنم ـ للديدبان[3]
فإن أبصرتَ شخصاً من بعيـد ... فصفّـق بالبَنَـانِ على البنـانِ
تراهم خشيةَ الأضياف خُرساً ... يُصَلّـون الصلاة بلا أذان

(١) الكظّة : الامتلاء الزائد على الحد .
(٢) الكنيف : محل قضاء الحاجة .
(٣) الديدبان : الحارس . واليفاع : ما علا وارتفع من الأرض ، ويكون فى المشرف من الجبل والرمل أيضا .

صيـــانة الـزاد !

وقال آخر :

وتراهـم قبل الغـداء لضيفهـم يتخللـون صيانـة للـــزاد[1] !

تعـويد الأضيـــاف :

وقال جُعَيْفران :

حديث أبى الصلت ذو خبرة بما يُصْلِحُ المِعدَة الفاســدة
تخـوّف من تُخْمـةِ أضيـافِهِ فعوّدهـم أَكْلَـةً واحـــدة

مايقـال للضـيف !

وقال أيضـا :

أتيتُ ابنَ يَحيى وهْو يأكل فانثنى إلىّ قَطُوباً إذْرَآنى وهَمْهمَـا[2]
وقال : لماذا جئت ؟ قلت مُسَلّماً فقال : فقد سلّمتَ فارجع مِثلَمَا[3] !

خِـوانُ عيسَى ماذا يضـم ؟!

ابن الرومى :

خِوانُ عيسى من نصف ترمسةْ ! وصحفتاه من فلقتى عدسـةْ !
من ذَرّ ذُرَةٍ جَرادِقٌ تَخْفَى على العينِ فهى ملتبسةْ
لو نُخِلَتْ بالحرير لاشرأبّتْ من خَلَل النّسج غير محتبسـةْ
إذا افترسْتَ الرغيفَ أَنَّ لَهُ كأنّ لَيْثاً هنـالك افترســـةْ
كأنما كلُّ لُقْمـــةٍ أُكِـــلتْ مفزوعةٌ من يديـه مُخْتَلَسَـةْ

---

(١) يتخللون : يخرجون ما بين أسنانهم من فضلات الطعام وهم هنا يخيلون للرائى وكأنهم أكلوا تضليلا له وصيانة للزاد .

(٢) قَطُوبا : عابساً مقطب الجبين . وهمهم : نطق بكلام خفى غير مفهوم ، وكأنما يحدث نفسه أولا بالمصيبة التى حلت به بحلول هذا القادم عليه وهو يأكل !

(٣) مثلما : أى مثل ما جئت ومن حيث أتيت .

ســـؤال وجـوابه !

وقول المشـطب البيهقى :

قلت لسَقّـــاء على بابـــه يَدْرُجُ بالقِربَــة مَطْبُــــوعْ :
لم تحمـــلُ الماءَ على دارةٍ والخبز فيها نادرٌ ممْنـوع ؟!
قال : لمن يُغْشى عليه ومَنْ يُغسَّـلُ إنْ مَاتَ من الجُوع !

ما ذنب الكلب ؟

وقال ابن سكرة الهاشمى :

قـام إلى كلبٍ له مثلِه فلم يـزل يَعْلُوهُ بالسّـيفِ
فقـلتُ : ما ذنْب أخيـك الـذى يقنع من دارِك بالطّيف ؟!
فقـال لاأعفـو عن ذنبـه حاف علينـا أيّما حَيْـفِ
صـانعه الضيّف بعظـمٍ له فنحـن فى الرين من الضيف !

رغيــف كُسِـــر !

وقال آخر :

رأيــتُ فى داركـم صيحـةً ومزْهَمـاً مع امرأةٍ صالحهْ
فقلـت : جَـزَعٌ عندكـم ؟ قيل لى: هـذا رغيـفٌ كُسِـر البارحـــة !
قال لىَ البوابُ صَبْراً !!

وقال اخــر :

جئتهُ زائـراً فقال لى البَـوّا ب صَبْــراً ؛ فإنـه يتغـدّى
قلت : مهلاً قد سمعنا قديما «خبر لازم فلا يتَعَدّى !!»

رغيــف أبى عـلى :

وقـال آخـر :

رغيـفُ أبى علىّ حَلّ خوفاً من الإنسـانِ ميدانَ السّماك

إذا سُئِلَ الرغيفَ أتيته يوماً بكى. يبكى بكاء فهو باكى

يكـره .. ويشـتهى !

● وقال آخـر :

يحـذرُ أن تُتخم أضيافُـه إنّ أذى التخمـة • محذور

ويشتهى أن يؤجروا عنده بالصوم ؛ فالصائم مأجور!

رغيف أبى نوح !

● وقال عباس :

لأبـى نـوح رغيـف فيـه خمسـون علامـةْ

وعلى جنبـه الواحـد لقيـت الكرامـةْ

ثم لايأكـل إنسـان أبى يـوم القيامـةْ

وعلى الآخـر سطـر «نسـأل الله السلامـةْ

وقـال آخـر :

لأبـى نـوح رغيـف أبـداً فى حجـر دايَـةْ

ابـداً يمسحـه الـدهـرَ بكُـمٍّ ووقايـةْ

ولـه كاتـب سـرٍّ خط فيـه بعنايـةْ

فسيـكفيكهـم اللـه إلى آخـر الآيـةْ

قوله فى أنواع الأطعمة وصنوف الأكل :

خبـرات طعاميـة :

قال أحمد بن الحسين المقرى : سمعت « بنانا » يقول : أطيب ما يكون « البَاذِنْجان » فى السكباج والحصرمية والمضيرة ، والكشكِيّة .

وأطيب مايكون «لحم الجمل» فى العدسية ، والمضيرة ، والحصرمية ، والكشكية .

وقال بنان : عصعص عَنز[1] خير من قدر باقلاء

وقال : سمعت «بنانا» يقول :

الأكل مع الإخوان يهضم ، والأكل مع الثقلاء يتخم !

نصائح بنان لمن كان يأكل معه :

وقال أحمد بن الحسين المقرى :

سمعت جعفر بن يحيى المدينى يقول :

حدثنى صديق لى قال : كنت عند «بنان» على مائدة فقال : لا تخالفنى فى كل ماأقول لك ... !!

فأتينا بـ «قصيعة» عليها «السميدان» فقال لى : كُلْ من الأحمر ؛ فإن فيه طعمين : طعم السكر وطعم الزعفران ، ولم يَدَعْني آكُلُ غيرَه !

ثم أُتِينَا بـ «الهريسة» فقال لى : كُلْ لُقْمةً ، أو لقمتين ، أو ثلاثة .

ثم أُتِينَا بـ «الزيرباج[2] الأحمر» فقال لى : كُلْ لقمةً ، أو لقمتين ، ولا تُكثر !

ثم أتينا بـ «القلايا» اليابسة فقال لى : لا تأكل إلا لقمة ، أو لقمتين ، أو ثلاثة ، ولا تُكثر ، وأولع بهذا الخبز اليابس ؛ يعنى الذى فى القَلِيَّة .

ثم أتينا بـ «البقلية» فقال لى : كل لقمة ، أو لقمتين .

ثم أتينا بـ «الشواء» ، فقال لى : لا تأكل منه شيئا ، وبقّ نفسك ؛ فإن فى كل يوم تصيب الشّواء بدانق يقوم مقام ذاك ، ويكفيك !

ثم أُتينا بـ «الفالوذج» ، وكان كثيرا شبيها بالصومعة ، فقال لى : كل وأكثر ؛ فإنك لا ترى هذا كل يوم !

ثم أتينا بـ «اللَّوزِينَج» فقال لى : أزوج ، وثلث ؛ فإن مُتَّ مُتَّ شهيدا !

---

(١) عُصْعُص : أصل الذنب . عظم صغير فى نهاية العمود الفقرى . وهو هنا كناية عن أقل العظم وأصغره ! والباقلا : الباقلاء . نبات عشبى من الفصيلة القرنية تؤكل قرونه مطبوخة وكذلك بذوره .

(٢) الزرباج : يصنع من لحم طير سمين مع الكمون والخل . وهو مكون من زيرا : أى الكونر . وبا : أى طبيخ .

ثم أتينا بطبق عليه «دجاج سمين مشوى» فأكل أكل اثنين أو ثلاثة ، وقال :

كل ولا تقصر ؛ فإن قيمة هذه ثلاثة دنانير !. ولا تأكل إلا ماله قيمة ، فأكل هو اثنين ، وأكلت أنا ثلاثة ! أو كما قال !

شاهد عَيان على بنان !

● وقال أحمد بن الحسن المقرى حدثنى جعفر بن محمد الكوفى قال : كنت مع «بنان» فى وليمة لرجل نبيل ، ومعنا جماعة من الكتاب على مائدة ، فكان قدام كل رجلٍ منا دجاجة مسمنة ، فضرب بيده ، فأخذها من قُدّام الرجل !

فقلت يا بنان ! ما هذا الفعل ؟

قال : إنه ــ أصلحك الله ــ مشاع غير مقسوم !

رأيه فى الفالوذج :

● وقال أحمد أيضا : قيل لبنان : ماتقول فى «الفالوذج» ؟

قال : هو ــ والله ــ من طعام أهل الجنة فى الدنيا ، ولا أحد يرجع إلى عقل ومعرفة يسأل عن هذا !!

يا مُغفّل ! كل أبداً حتى تموت ؛ فإن مت مت شهيدا ، ووقع أجرك على الله !

من خبراته :

وقال بنان : كثرة المضغ تشد العمود ، وتقوى الأسنان ، وتدبغ اللثة ، وتغذو أصولها .

علاج الغُصّة[1] !

وقال أحمد بن الحسن المقرى : قال لى وصيف لنا : كان بنان يجيؤنى فى عرسى ، فقلت له :

ضيقت علىّ ! فقال : إن لم أنفعك لم أضرك !، فغصصت ؛ فقال لى :

ارفع رأسك إلى فوق ، وتنفس ثلاثا ، فإنه ينزل ماأكلت !

(١) الغُصة مايعترض فى الحلق من طعام أو شراب .

رأيه فى الماء البارد !

وقال أحمد أيضا : سمعت بنانا يقول : نقصان لونين ، وماء بارد هو أحب إلىّ .

من نصائح بنان بعد القيام من المائدة :

وقال أبو الحسن «بنان» :

● وإذا قمت من المائدة ، وقد تغذيت فاقعد فى وسط الدار يضربك الهواء !

وادعُ بالشراب ، فإن أتوك بنبيذ ، فهو أحب إلىّ ... رطلا أو رطلين ! ، ولا تصب فيه الماء .

● فإن أتوك بفقاع[1] فلا تكثر منه ؛ فإن كثرته تُغْشى ،

● وإن حلفوا عليك ، فأدخلوك البيت ، فلا تقعد فى الصدر ؛ فإن القعود فى الصدر قعود مُغَنٍّ أو مخرف ! ، وإذا أردت أن تقضى حاجة ، أو تبول يصعب عليك القيام ، وتستحى ممّن فى المجلس من قيامك ، أو قعودك !، فاقعد بجنب الباب !

● وإن كان فى البيت فاكهة كثيرة فاجذب منها إليك تأمن من أن تذهب ، وتبقى أنت بلا شىء !

ولا تكن أنت الساقى ، وكن ذنبا ، ولا تكن رأسا .

● وإن كان فى المجلس مغنية ، وغلام حسن الوجه ؛ فاتق الله فى نفسك ، ولا تولع بواحد منهما ، والزم العافية ، فقد قال الله تعالى فى كتابه العزيز : ﴿**ولا تمدّنّ عينيك إلى ما متعنا به أزواجاً منهم زهرة الحياة الدنيا**﴾ [١٣١/طه] .

● وإذا دار النبيذ فى الأقداح فانظر خير نبيذ[2] يكون فى مجلسك فخذ قنينة ، وقدحا ، واشرب وحدك .

---

(١) فقاع : شراب يتخذ من الشعير .

(٢) يقال : نبذ التمر نبذاً ونبيذاً ، ونبذ الشىء : طرحه ونبذ فلان التمر والعنب ونحوهما اتخذ منهما نبيذاً . وهنا يفرق بنان بين النبيذ والخمر ، فيأمره أن يتقى الله فى الخمر ويشرب ماشاء من عصير الفواكه . لكنه يعود فيقول : إياك أن تسكر ! اشرب خمسة أقداح .. ستة .. سبعة ولا تسكر الخ . ولكن ماأسكر كثيره فقليله حرام ، وعلينا أن نغلق أبواب الشر .

● وإذا رأيتهم يخلطون فى حديثهم ، فلا تشاركهم .

● وإن كان فى المجلس خمر ، فاتق الله ولا تشرب منه ، ولا تقعد فى مكان يكون فيه !

فقد حدثنى علىّ بن سهل بن المغيرة ، وعلى بن الحسن ، وصالح الرازى كلهم يرويه عن معاوية عن النبى ﷺ أنه قال : «**من شربَ الخمرَ فاجلدوه ومن عاد فاجلدوه ، فإن عاد فاجلدوه ، فإن عاد فاقتلوه**»[1] .

محظـــورات ومحـــاذير !! وتوجيهات !

● ياأخى ! إياك أن تسكر ! ، وأن يرى القوم منك زَلّة ، أو كلمة غليظة ! ؛ فيحكم بها عليك ، ولعلك مستور بين جيرانك ، فتخرج وقد انتهك سترك عندهم ، ولعلك إمام أو مؤذن ؛ فهى الفضيحة التى لا تجبرَ أبدا !!

● وعليك بخبر حسن ، أو صوت حسن ؛ فإنهم كلهم يميلون إليك وتصير سيدهم .

● وإن خلطت ، وولغت ، ومزحت ، فإنما هو صفع كله . وعداوة جيرانك لا تجبرها أبدا .

● وإياك أخى أن تسكر ... اشرب خمسة أقداح .. ستة أقداح .. سبعة أقداح .. ولا تسكر !

فإن خشيت من نفسك السكر فقم وأنت صحيح ، وعقلك معك ، ولا تأمن الحدثان !

سلمنا الله وإياك ياأخى من آفات الدنيا والآخرة ، فاقبل وصيتى ، فإنك ترشد إن شاء الله !

(١) أخرجه ابن حبان فى صحيحه من حديث أبو سعيد الخدرى (٦/٣٠٩) ، وذكره السيوطى فى الجامع الكبير ص ٧٨٨ وعزاه للضياء المقدسى .

ألقاب الأطعمة وكُناها عند بنان[1]

الأطعمة وآلات الطعام	ألقابها عند بنان ، وكناها !
الجفنـــــة	أم كثيـــر . [القصعـة]
الخُـــوان	أبو جــامع . [المــائدة]
الطســت والإبريــق	بشــروبشــير .
الطيفــورية	أم روح .
الغضــــارة	أم الفـــرج . [وعاء كبير يتخذ من الخزف][2]
منديــل الغمــر	أبو اليســـير .
الخبز الحُوّارى	كنى بنان الخبز الحوارى أبونعيم . [الدقيق الأبيض]
الخشــكار	أبو جابـــر .
الســـميذ	أبو الســـرور ، ويقـــال : أبو الملك .
اللحــــم	أبو عاصــم .
البقـــل	أبو جميـــل .
الخــــل	أبو ثقيـــف .
الحمـــل	أبو حميـد[3]
الجـــدى	أبو حبيـــب[4]

---

(١) أفرد صاحب «نثر الدر» فى الجزء الثانى بابا عنوانه : ألقاب الأطعمة وغيرها على مذهب الطفيليين . وانظر محاضرات الأدباء ١٠ : ٣٧٨ . وما بين المعقوفين زيادة من عندنا للإيضاح .

(٢) الغضارة : وعاء يتخذ من الخزف ونحوه [القاموس] .

(٣) فى نثر الدر : الحمل : شهيد ابن شهيد .

(٤) فى نثر الدر : الجدى : أبو العريان .

الدجاجة	أم الخير[1] .
الجبن	راشد الخانق[2]
الزيتون	خنافس الخوان .
الصحناءة	أم البلايا . [ضرب من الكامخ][3]
الكَشْكية	أم حفص [طعام يتخذ من ماء الشعير]
الباقِلّى	أبو رباح .
الفالوذج	أبو العلا . [نوع من الحلوى يعمل من الدقيق والعسل] [4]
الخبيص	أبو نعيم . [طعام من سمن وتمر ودقيق]
اللوزينج	قبور الأطفال .
القطائف	قبور الشهداء
العصيدة	أم سهل .
الماء	أبو الغيث[5] .
النديم	أبو الكمال .
المجلس	أبو محمود .
المنارة والسراج	أبو صباح .
الخلال	كتاب العزل .
الأشنان	أبو اليأس . [يقوم مقام الصابون]

(١) الدجاجة : فى نثر الدر : سمانة القوادة .

(٢) فى نثر الدر : الخناق .

(٣) الصحناءة : فى المخصص ٥ : ٩ ضرب من الكامخ . وفى القاموس : إدام يتخذ من السمك الصغار . مُشَهٍّ مصلح للمعدة .

(٤) الفالوذج : فى نثر الدر أبو مضاء .

(٥) الماء فى نثر الدر : أبو غياث .

رثـــاء بنـــــان !!

وقال أحمد بن الحسن :

رثى بعض الشعراء « بنانا » عند موته فقال :

١ ـ يأيها الميتُ الذميـــــم لذى الأقارب والأباعـد
٢ ـ مَن للهَـرائِس إذْ فُقِدْ ت وللثّرائِـد والعصـائـد !
٣ ـ وحُضـورِ أيّـامِ الـولا ئم والقعـودِ على المـوائـد !
٤ ـ والأكْلِ ما قدَرَتْ عليــه يداك مِنْ حارٍّ وبارِدْ ؟!
٥ ـ قد كُنْتَ تلْتَقِمُ الرّءُو سَ إذا خَلَوْتَ وفى الشواهِدْ
٦ ـ وتَعِيثُ فى مالِ الصـد يق كَوَارِثٍ فى مالِ والـد
٧ ـ أظننتَ أنك سوف تخـ ـلُدُ وابن آدمَ غيرُ خـالد ؟!

فى رثـاء بعض الطفيليين :

وقال غيره :

أنشدنى رئيس الرؤساء ، جمال الورى ، شرف الوزراء : أبو القاسم على بن الحسن بن أحمد بن محمد بن عمر لأبى عبد الله البنانى يرثى بعض الطُفيليين :

١ ـ أبكى لفقدك عند كل غَداء ولطيب أكلك عند كل عَشَاءِ
٢ ـ ياشيخ أهْلِ الأكْلِ غير مُدَافَعٍ لو كنتَ تسَمعُ أو تجيب ندائى
٣ ـ لو تستطيعُ لك الموائد فِدْيةً لفَدَتْ ، وكيف ؟ ولات حين فدائى !
٤ ـ مَنْ للجَرادِقِ والرّقاقِ ومَنْ لأقـ ـراصِ السّمِيذِ ومَنْ لخُبْزِ الماء ؟!
٥ ـ وبَوَارِدٍ بَرْدَ الغليل لحسْنها كالروضِ أضحكه بكاءُ سماء !
٦ ـ مُحمَرَّةٌ فى الخَلِّ فى جنباتها مُخْضَرَّةٌ ـ بالبَقْلِ والقِثّاء !
٧ ـ أبكيك للمبسوطة الصفرا ءِ تأتى أمام هريسةٍ بيضاء
٨ ـ أبكيك للحَمَلِ السمينِ وتارةً أبكى . عليك لدخلة ألياءِ
٩ ـ وكذاك للجدى الرضيع مُبَرّزاً وصفاير يتبعن جنبَ شِواءِ

١٠ ـ لهْفِي عليك إذا الغُروفُ تَنَا　بعت لهفاً يُدِيمُ تنفّسَ الصعداء
١١ ـ عمّت مصيبتُك الورى　طُرّاً عموم حنادس الظلماء
١٢ ـ مَنْ للثريد إذا ارْتَوى مِن　دُهْنه في الصحن رَىّ سحابةٍ وصفاء
١٣ ـ وتكللت جنابته بمجزّع　ذات السديف به على الأرجاء
١٤ ـ أمّن يُفَسِّرُ كلّ مشكل أَكْلةٍ　أعيت على الندماء والأكلاء
١٥ ـ قرحت عيون النرجسية بعده　شوقا إلى الكَشْكِيّةِ الخضراء
١٦ ـ وتبارتا أسفاً عليك ولوعةً　وكذاك شرطُ تفرُّق القرناء
١٧ ـ ذلّتْ بمصرَعِك الولائم واغتـ　دى التطفيلُ رهنَ كآبةٍ وبُكاء
١٨ ـ أبقيتَ فى قلب القطائف حسرةً　لايُستَقلُّ بها صباحَ مساء
١٩ ـ هيهاتَ أن يَنْسَى اهتشاشك　نحوه بطويلِ باعِك واليد الرعْشَاء
٢٠ ـ ولَرُبّ يومٍ أيْومٍ أفنيت فى　علم الطعامِ وليلةٍ ليلاء
٢١ ـ لطَمَ الخُوانُ وقَدْ نُعِيتَ تَحَرُّقاً　واستعبر الطنجير للحلواء
٢٢ ـ وتجرع الجوذابُ[1] بثكلك وانثـ　نى يثنى بفضلك عن أبي الصهباء
٢٣ ـ أما وقد غالتك غائلة الردى　فليأمن الحيوانُ سفكَ دِماء
٢٤ ـ ياقانصَ الفَرّوج من سَفُّوده　قنصتْك كَفٌّ آذنت بفناء
٢٥ ـ عَفَتِ المطابخُ والقدور　وأُعْفيتْ فيها طُهاتُك بعد طُولِ عنَاء
٢٦ ـ وتركْتَ ألضَاءَ المغارف ظُلَّعاً　حَسْرَىَ من الأنفالِ والأعباء
٢٧ ـ لاغَروَ إن كشف المروس راسه　حزناً عليك وشق كل رداء
٢٨ ـ قد كنتَ تصفيه المَودةَ والهوى　وتخصّه بمَودة وولاء
٢٩ ـ إن كان ضعضعك الزمان فطا　لما أودى بكل مصمصم أبّاء
٣٠ ـ لاتبعدَنّ وقد بعدت وكل ذى　قربٍ رهينُ تباعُدٍ وتنائى
٣١ ـ وسقى ثراكَ مُجَلْجِل واهي العـ　رى يهمى عليه بدُهن كل سلاء
٣٢ ـ وازداد قبرك جونة مشحونة　تسعى إليك بها يَدُ الوصفَاء
٣٣ ـ ومُؤانساك أُوِزّة وأرزّةٌ　صِينَت عن الأدناس والأقذاء
٣٤ ـ فلقد تركتَ العُرسَ بعدَك مأتماً　وأقمتَ سوقَ الحُزْن والبرُحَاء
٣٥ ـ واهاً فإن مصابَنَا ثان مفتـ　ـاح الهموم وغايةَ الضراء
٣٦ ـ خذها إليه مسيحةً سيارةً　تُثْنيك عن عهدٍ وحُسْن وفاءِ

(١) الجوذاب : طعام من سكر وأرز وجوز ولحم معرب كوزاب .

مِن دعـــاء بنـــــان :

قال أحمد بن علی : قال رجل لبنان الطفیلی :

ادْعُ لی ! قال : فرفع يديه وقال : مَنّ الله عليك بصحة الجسم ! ، وكثرةِ الأكلِ ، ودوامِ الشهوة ،ونقاء المعدة ! ومتّعك بضرس طَحُون ، ومَعِدَةٍ هَضُوم ، مع السَّعَةِ والدّعَة ، والأمن والعافية :

ثم قال : هذه دعوة مغفول عنها !

صنعة التطفيل فى عينى بنان :

وقال أحمد بن الحسن : سمعت بنانا يقول : ما فى الدنيا أحسن من صنعتى ! أنا أطفل منذ ثلاثين سنة ماأسلموا إلىّ صبيًّا قط !

بنان يُعَوّذ ابنه عندما رآه يتلمظ

وقال أحمد بن الحسن : سمعت بنانا يقول : رأيت ابنى يوما يتلمظ ، فجعلت أدعو له ، وأقول : أرجو أن تكون خلفاً صالحاً ؛ يعنى فى التطفيل !

تعجيل الوليمة ، وتأجيلها :

قال : وسمعت « بنانا » يقول : اصطناع الوليمة إذا لم يعجلها فهو عيب واحد ، وإذا عجلها فهى عيوب كثيرة !

إحـــدى المصيبتيـــن :

وسمعت بنانا يقول : الشر والاختلاف فى الوليمة إحدى المصيبتين !

مـــن أنـــت ؟

قال : وأتى بنان قوماً ليدخل إليهم ، فقالوا له : من أنت ؟ قال : أنا الذى كَفَيْتُكم مُؤْنَةَ الإرسالِ إلىّ !

أى الطعـام أطـيب ؟

وقيل لبنان : أى الطعام وجدت أطيب ؟ قال : ما اتسع صدر صاحبه !

ســبعة قاتــلة :

قال : وسمعت بناناً يقول : سبعة يُضْنِينَ بل يَقْتُلْنَ :

١ ـ إذا كان صاحب الوليمة بخيلا .

٢ ـ والبوابُ كذاباً صَلِفــاً .

٣ ـ والقيّم على الناسِ بغيضاً سَيّيءَ الأدب .

٤ ـ والخباز لا يحسن عملَ الطعام .

٥ ـ وكان قذر الكف .

٦ ـ والمائدة حتى توضع

٧ ـ والمجلس ليس فيه غناء ولا نبيذ فهو كالبيت الخرب(*) .

وســبعة تبعث الســرور وتضــاعفه !

وسبعة يزدن صاحب الوليمة سروراً أو فرحاً بما هو فيه :

١ ـ إذا كان شيخا كريما جواداً لم يُسْأَل شيئاً إلا جاد به .

٢ ـ والحاجب إذا كان ظريفاً لبيباً .

٣ ـ والوكيل ـ أو قال : القيم ـ إذا كان عاقلاً حسن الأدب ! يُنزلُ الناسَ منازلهم ؛ ويرتبهم .

٤ ـ والخباز إذا كان طيب العمل نظيفِ الكف .

٥ ـ وغلام عاقل يضحك فى وجوه الناس ويحثهم على الأكل .

٦ ـ والمائدة إذا وضعت ، وكان معك من تحبهُ ويحبك يأكل معك ، وليس بجنبك ثقيل ولا بغيض ، فيزحمك ويؤذيك .

٧ ـ ومجيء أصحابك العقلاء الذين يعرفون حقك ، ويكرمونك ، ويجلونك ، ويحلفون بحياتك ، وتعرف السرور فى وجوههم .

(*) هذا رأيه وعليه تبعته !

فصلوات الله على هؤلاء وعلى من والاهم وليس يبدؤك بما تكره إلا من بخل ، أو سفل ، أو من فى نسبه شىء .

والمجلس الذى يكون فيه النبيذ والغناء الطيب ، فهو كمثل من حدث القوم ، بحديث وهم يشتهونه !

ماذا تفعل لو دعاك اثنان فى وقت واحد ؟

قال : وسمعت « بنانا » يقول : إذا دُعِيتَ إلى دعوتَيْن فأَجِبْ أقربَهما باباً إليك ! قال الخطيب :

وقد جاءت السنة عن النبى ﷺ بمثل ذلك عن الحسن بن على التميمى قال : قال رجل من أصحاب رسول الله ﷺ إنه قال : «**إذا اجتمع الداعيان فأجب أقربهما باباً ؛ فإن أقربهما باباً أقربهما جواراً ؛ فإذا سبق أحدهم فأجب الذى سبق**» .

وعن عائشة رضى الله عنها أنها قالت : إن لى جارين ، فإلى أيهما أهدى ؟ قال : «**إلى أقربهما منك بابا**»(١) .

بنـــان والدجـــال :

وقال محمد بن على الجلاب ، سمع بنان رجلا يقول : الدجال ـ يخرج فى سنة قحط معه جرادق أصبهانى ، وملح دارانى ، وأنْجذان(*) سرخسى .

فقال : هذا ـ عافاك الله ـ رجل يستحق أن يُسمعَ له ويُطَاع(٢) !

لقاء على شرف العصيدة :

وقال أحمد بن الحسن المقرى : سمعت بنانا الطفيلى يقول : دعانى صديق لى ، وعنده قوم من التجار ، فاشتهيت عليه عصيدة ، فجاءنى بدوشاب خام سيلان لم تصبه النار ، ودقيق من هذا المحور قد نخل بمُنْخُلَيْن : دقيق وجليل ، فتراه كأنه سحالة الذهب . فى البوتقة ، وسمن عربى بصرى ، وطنبحير واسع مجلى ، وساعد قوى .

(*) أنْجذان : نبات أسود وأبيض يقاوم السموم جيد لوجع المفاصل وملطف .

(١) رواه أبو نعيم .

(٢) لا يستغرب من بنان.وأمثاله ممن همهم فى الأكل أن يكون رأيه تبعا لهواه !

وعلامة الإنضاج من الدقيق : أن يقول : نَقْ نَقْ . وعلامة الإنضاج من السمن أن يقول : بق بق . ثم أتيت بجون قحفى مقشور ، وطرح فيها ، وحرك حتى اختلط . ثم أتيت بطيفورية رحراحة فأقليت ، وصيرت فى وسطها فَبدا فيها سمن ، فقعد معنا عليها قوم مجان لم يعرفونى إلا بعد ، فأخذ بعضهم لقمةً فألقاها فى السمن وقال : ﴿**فكبكبوا فيها هم والغاوون**﴾ [الشعراء : آية ٩٤]

وقال الآخر ﴿**إذا رأتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظاً وزفيرا**﴾ [الفرقان : ١٢] . وجر السمن إليه ؛ فذهب . قلت : ﴿**وبئر معطلة وقصر مشيد**﴾ [الحج : ٤٥] . وجرفت السمن إلىّ .

فقال الآخر : ﴿**أخرقتها لتغرق أهلها لقد جئت شيئا إمرا**﴾ [الكهف : ٧١] . وجر السمن إليه .

فقلت : ﴿.. **أنا نسوق الماء إلى الأرض الجرز**﴾ [السجدة : ٢٧] ، وجرفت السمن إلىّ .

فقال آخر : ﴿**فيهما عينان نضاختان**﴾ [الرحمن : ٦٦] . وجر السمن إليه ، فقلت : ﴿**فيهما عينان تجريان**﴾ [الرحمن : ٥٠] . وجذبت السمن إلىّ .

وقال آخر : ﴿**فالتقى الماء على أمر قد قُدِر**﴾ [القمر : ١٢] وجر السمن إليه ، فقلت : ﴿**فسقناه إلى بلدٍ ميت**﴾ [فاطر : ٩] وجذبت السمن إلىّ ، فلم أر أحدا يتكلم فقلت أنا : ﴿**وقيل يا أرض ابلعى ماءك ويا سماء أقلعى ، وغيض الماء وقضى الأمر واستوت على الجودى وقيل بعدا للقوم الظالمين**﴾ [هود : ٤٤] .

وخلطت السمن بما بقى من العصيدة ، وضحكوا ، واختنق واحد منهم ، فمازالوا يلطمونه حتى نزلت اللقمة والحمد لله على سلامته كثيرا[1] .

---

(١) للقرآن أثره فيمن يحفظونه ، فيكثر على ألسنتهم الاستشهاد به ، والاقتباس منه ، ونجد ذلك فى شعرهم ونثرهم ، وحوارهم دون أن يتحرجوا ، بل كانوا يجدون فى ذلك مهارة ومقدرة وبراعة ، وكان القرآن منهم موضع التكريم والتعظيم ، وكيف لا وهو كلام رب العالمين ! لكن ينبغى أن ننأى به عن مثل تلك المواقف التى يبرز فيها طابع التندر وإن كنا أمام عرض لألوان من التراث !

بنـــان يعرض حاجتـــه !

وقال أحمد بن الحسن المقرى : سمعت أبا عبد الله الحسين بن جعفر الكوفى يقول :

قال بنان الطفيلى : عمل محمد بن عبد الله بن طاهر وليمة .
قال : فجئت مع من دخل ، فقصدنا إلى مائدة أجلّ مائدة عليها بنو هاشم .

ثم قال : فدعا محمد بن عبد الله بشر بن هارون كاتبه ، فقال له :

ويلك من صاحب هذه الكمة ؛ يعنى قلنسوةً سوداء على رأسه ، وطيلسان أخضر لست أعرفه ؟!

قال : فقال : يا سيدى ! هذا رجل يقال له « بنان » يشهد هذه الولائم ، دعى أو لم يُدْع !!

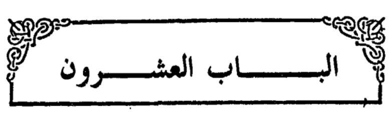
قال : فقال محمد بن عبد الله بن طاهر : يا بشر ! إذا تغدى جئنى به !
فلما جاءه به قال : أَيْش أنت[1] ؟!
قال : — أطال الله بقاء الأمير — أنا رجل أشهد الولائم دعُيتُ أو لم أُدْعَ .

فقال : سلنى حاجتَك . قال : يا سيدى ! حاجتى ألا يشاركنى أحد هذه الصناعة ، فكتب لى منشوراً ألا يدخل علىّ أحد فى هذه الصناعة — أو قال ؛ العمل — إلا يدى عليه مطلقة[2] .

قال : فكتب لى منشورا بما يجب ، وأمر لى بمائة دينار . قال أبو عبد الله أحمد بن الحسن : فأنا قرأت المنشور عنده بخط بشر النصرانى .

---

(١) يعنى : من أنت ؟ وأى شىء أنت ؟
(٢) أى يكون له الأمر والنهى ، ويصبح عريفا ونقيبا .



الباب العشرون

فى مدح القناعة

قالوا :

● عن جابر بن عبد الله الأنصارى قال : قال رسول الله ﷺ : « **القناعة مال لا ينفد** »[1]

● وعن ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ : « **ما من عبدٍ إلا بينه وبين رزقه حجاب ، فإن قنع واقتصر أتاه رزقه ، وإن هتك وحرص لم يزد فى رزقه** »[2] .

● وعن أمير المؤمنين - رضى الله عنه - قال : قال رسول الله ﷺ : « **من رضى بقليل الرزق رضى منه بقليل من العمل** »[3] « **وانتظار الفرج بالصبر عبادة** »[4]

● وقال سفيان الثورى : من اقتصر على الخير لم يزل أبدا .

● وقال الحسن البصرى : انتقم من حرصك بالقُنُوع ، كما تنتقم من عدوك بالقصاص !

● ووجد على حجر بأرض الحجاز مكتوب : « اقلبنى تتّعِظْ » فقلب ، فإذا عليه مكتوب : اليأس عما فى أيدى الناس مقنعة . وطلب المال مَعْجَزَة ، والأخلاق متشعبة .

لاتأسَفَنَّ على مافاتَ مَطْلبهُ ... وإن جَزِعت فماذا ينفع الجزَع ؟!
إن السعادةَ يأسٌ قد ظفرت بها ... بعض المراد وإن الشقوة الطمع

---

(١) انظر جمع الجوامع ص ٤٣٦ وعزاه السيوطى لأبى هلال العسكرى فى الأمثال .

(٢) أخرجه أحمد فى مسنده بنحوه (٣/٤٧) .

(٣) ذكره السيوطى فى الجامع الصغير حديث (٥٦١٢) وعزاه للبيهقى فى الشعب من حديث على بن أبى طالب وضعفه الألبانى . (٤) أورده الهندى فى كنز العمال برقم (٧١٤٠) وعزاه للديلمى .

وقال العبدى :

إنى أُرَى من قُنُوع ... يَعْدِلُ مَنْ نالَ مَنْ تَمَنّى
الرزقُ يأتى بلا عَنَاء ... وإنّما فاتَ مَنْ تَعَنّى

وقال آخر :

إن القنوع لو حللت به ... كنت الغنىّ المِلىّ الوافِر العرض

وقال الإمام الأعظم للإمام الشافعى ـ رضى الله عنهما ـ :

لك الدّنيا بأجمعها جميعاً ... إذا عُوفيتَ ثم أصبت قُوتا

وقال محمود الوراق :

عَدِيمٌ أعزّ من أسدٍ ... ورُبّ مُثْرٍ أذل من وَتِد[1]
قناعة المرء ما استعان بها ... خير من العيش فى غنى نكد
والناس اثنان فى زمانك ذا ... لو تبتغى غيرهم لم تَجِد
هذا بخيل وعنده جده ... وذا جَوادٌ بغير ذاتِ يَدِ

وقال صالح بن عبد القدوس :

اصْبِرْ على كِسْرةٍ ومِلْح ... فالصّبْرُ مِفتاحُ كُلِّ دين
واقنعْ فإن القُنُوعَ عِزٌّ ... والذلّ فى شهوةٍ بسدّين

وقال آخر :

بيتى أحبّ إلىّ ... من بيتِ الخليفة والوزير
فإذا أكلت بُرّقى ... وشربت خِبسا بالكبَيْر[2]
فأنا الخليفة لا الذى ... ربُّ الخورنق والسّدير[3]

---

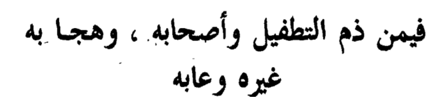
(١) يضرب المثل فى الذل والإذلال بشيئين : عَيْرُ الحَىّ (الحمار) فهو يسام الخسف ، ولا يثور ، والوَتِد ، فهو يدق على أم رأسه ويرضى !

(٢) القدح الكبير .

(٣) الخورْنق والسدير قصران كان لهما شأن فى قديم الزمان .

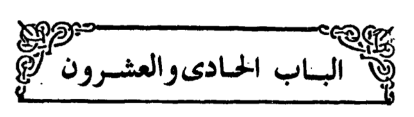
والخورنق : قصر كان للنعمان الأكبر بالعريق . والسدير بناء ذو شعب ثلاث ، أو قبة فى ثلاث قبب متداخلة .

البـاب الحادى والعشـــرون



فيمن ذم التطفيل وأصحابه ، وهجا به غيره وعابه

- ابن عمر يتمثل ببيت !
- قرة عين الطفيلى ودِينُه !
- طفيـــلى وســـائل !
- يأكل أرزاق النـــاس !
- أطْفَــلُ من ذبـــاب !
- هجـــاء لاذع !
- رؤيـــا طفيـــلى !
- أطفل من ليل على نهـار !
- كيف يأكل الطفيـلى ؟!



الباب الحادى والعشرون

فيمن ذم التطفيل وأصحابه ، وهجا به غيره وعابه !

ابن عمر يتمثل ببيت !

● حدّث قرة عن محمد قال : كان ابن عمر يتمثل بهذا البيت :

يحبُّ الخمر مِن مالِ النَّدامَى ويكره أن تُفارقه الفلُوس[1]

وأبيات مماثلة :

● وأنشد محمد بن الحسن بن عبيد الله البزار لبعضهم :

يُحِبّ الرّاحَ من مالِ النّدامي ويأكُل أكل شَدّادِ بن عادِ[2]
ولايَرْوى من الأشعارِ شيئاً سوى بيت لأبرهة العبادى
قليل المال تُصْلِحهُ فيبقى ولا يبقى الكثير على الفساد

قرة عين الطفيلى ودينه :

طُفَيْلِىّ يرى التطفيلَ ديناً وقُرّةُ عينه غِشْيَانُ عُرْس
إذا قبضت يَدَاهُ على رَغيفٍ تَقَسَّمَ نهبَهُ بِيَدٍ وضِرس[3]

طفيلى وسائل :

● وقال أحمد الزهرى الخطيب بالدينور[4] : حدثنى آدم الطويل قال : دخل حانوتى[5] رجل يأكل شيئا من الطعام ، فتقدم سائل ، فقلت له : ماأكثرَ تردُّدَكَ إلى !

---

(١) الندامى : جمع نديم ، وهو من يجالس ويحادث على الشراب ، والبيت صور لونا من التطفيل ، فهو يحب الخمر من مال غيره ممن ينادمونه ، ويكره أن تفارقه فلوسه : جمع فَلْس .

(٢) الراح : الخمر ، ويأكل أكل شداد بن عاد : أى أكلاً لَمًّا .

(٣) نهبه : أخذه وتناوله ، وهو يسلط الأضواء على طريقة أكله بألفاظ مصورة تعطيك ملامح الصورة الكريهة : قبضت يداه ـ تقسم نهبه ، بيد وضرس . إنها صورة حيوان مفترس .

(٤) الدّينوَر : مدينة من أمهات مُدُن الجبال فى كردستان الإيرانى .

(٥) الحانوت : الدكان .

فقال الغريب الذى فى الحانوت : لعله كما قال الشاعر :

لو طُبخَتْ قِدْرٌ بمَطْمُورةٍ ... أوفى ذُرى قَصْر بأقصى الثغور
وكنتُ بالصّينِ لوافيتُها ... ياعالمَ الغيبِ بما فى القدور(١)

يأكل أرزاق الناس !

وأنشد محمد بن على بن عبيد الله الكرخى :

لو أوْقَدَ الراعى على شاهقٍ ... بالطّرْق وافى جبلَ الطرقْ
أو كانتِ الإبْرَةُ سَدًّا له ... لانسَلّ كالبرقِ من الخرْق
تأكلُ أرزاقِ بنى آدمٍ ... كأنك مخلوق بلا رزْق(٢)

أطْفَلُ من ذباب !!

وأنشد محمد بن على الجلّاب لبعضهم :

أسرفُ فى التطفيل من ذُبابِ ... على طعامٍ وعلى شراب
لو أبصر الرُّغفانَ فى السّحَابِ ... لطار فى الجوّ مع العُقابِ(٣)

هجاء لاذع لطفيلىّ يدْعَى أبا الفضائل :

وأنشد على بن المحسن بن على القاضى لأبى على سليمان بن الفتح الموصلى المعروف بابن الزملّدم يهجو أبا إسحاق بن حجر الأنطاكى الملقب «أبا الفضائل» ويرميه بالتطفيل :

---

(١) بمطمورة : بحفرة تحت الأرض ، أو فى ذُرى : أعلى . والثغُور : جمع ثغر . البلاد التى على الحدود . والمراد : أن لديه حاسة شمّ قوية ، فهو يشَمّ رائحة قدور الطهى عن بعد فيوافيها ، ويذهب إليها .

(٢) الشاهق : الجبل العالى ، والطّرْق : الماء المجتمع من السيل الذى طرقته الأبل ، وبالت فيه وبعرت ؛ فهو مستنقع . والشاعر يقول : لو أن راعيا أضاء ناراً على جبل ، وفى الطريق إليه مستنقع ماء ؛ فإن ذلك كله لا يحول بين الطفيلى والوصول إليه . ولو كان هناك منفذ ضيق كسم الخياط ما حال ذلك دون الوصول إلى هدفه . ومن عجب أنه يأكل أرزاق الناس دون أن يبذل جهدا فى الحصول على رزق .

(٣) قال فى مجمع الأمثال للميدانى : «أطفل من ذباب» حيث يضرب المثل بالذباب فى التطفيل ، إذ ليس هناك من يدعوه إلى طعامه وشرابه . والعقاب ـ بضم العين ـ طائر جارح له مخالب حِداد .

مُطَفّلٌ أُطْفَــلُ مِنْ ذُبــابِ ... على طعـــامٍ وعلى شَرابِ
لقب طُنْزاً أشرف الألقاب ... أدْوَرُ بالمَوْصِلِ من دولاب[1]
يمر مرّ الريح والسَّحـــابِ ... ينـزلُ تطفيلاً ببـــابٍ بابِ
نُزُولَ شيبٍ لاح فى شـباب ... يدخلُ بالحيلة فى الأنقابِ
مكابـــرا ينسابُ كالحُبـــاب ... لا يفْرَقُ الردّ من البـــوابِ[2]
وإنِ له أغلظ فى الخطابِ ... له انْقِضَاضَ سَوْرَةَ العُقابِ[3]
على القلايا وعلى الجَوْذاب ... يَحْمِـــلُ حملاتِ أبى تُرابِ[4]
فى يوم صِفِين وفى الأحْزابِ ... بالجَدْى منه أثر الذئـــابِ[5]
يمغثه مغثـــةَ ليثِ الغـــابِ ... بكفـــه وظفـــره والنـــابِ[6]
فعامِـــرُ الميـــدةِ فى خرابِ ... وصاحبُ المنـــزلِ فى عذابِ[7]

لســـود مايـــأتى من الآدابِ !!

وهجاء ثان له أيضا :

● وقال على بن المحسن فيه أيضا يهجوه :

طُفَيْلـــىٌّ على فرسٍ يَدُورُ ... يُقدّر .. عند مَنْ غلت القدورِ[8]

---

(١) الطّنز : السخرية . أدوَرُ : أكثر لفًا ودورانا . والدولاب الساقية . فهو يظل طول نهاره يبحث عن الطعام !

(٢) الحُباب : الحية ، فهو يتسلل فى جرأة وعلى حين غفلة غير خائف من أن يردّه البواب . لا يفرق : لا يخاف . الفرق : الخوف .

(٣) إن عامله البواب بشدة وقسوة موجها إليه أخشن الكلام بدلا من أهلا وسهلا .. شرفت إلخ فما عليه إلا أن ينقضّ على الطعام انقضاض العُقاب وهو الطائر الجارح فى سورته وشدته .

(٤) أبو تراب : الإمام على – رضى الله عنه – والمراد : أنه لا يقيم وزنا لكلام البواب ويهجم على الطعام كأنما هو فى ميدان قتال ، وكأنه بطل الأبطال . والقلية : مرقة تتخذ من لحم الجَزُر ، والجُوذاب : طعام يتخذ من سكر ولحم وأرز .

(٥) ويفعل بالجدى كما يفعل الذئب المفترس .

(٦) المغْثُ : التمزيق والدلك .

(٧) الميدة : المائدة . أى لا يبقى ولا يذر فتصير خرابا يباباً . وهكذا يكون التطفيل عقابا لصاحب المنزل وبوابه على سوء أدبهما .

(٨) إنه يدور بفرسه يبحث ويفكر عن أصحاب الموائد .

بأوقاتِ الموائد حينَ يُؤتى ... بها للأكلِ عَلّام خبير !!
له فى الغَيْب اصطرْلاب وَحْي ... بمائدة إذا وضعت نذيرُ[1]
فبطليموس فى تحديد وقتٍ ... إليه - بغيرمَا غلطٍ - يشيرُ
ولو قالوا : بتاهرتٍ طعامٌ ... لمر إليه تطفيلا يسيرُ
كأنّ علَى الموائدِ منْه ليثاً ... على خِيوانها حَنَقًا يزيرُ[2]
فرَبُّ الدارِ منه فى حصارٍ ... ومَنْ فيها بخدمته ضَجُورُ
يكنى بالفضائل وهو نقص ... على طنزٍ بلحيته صبور

يراهـا فى المنـام !

وأنشد بعض الأدباء :

يُعْجِبُه مَنْ عِنْدَهُ دَعْوَةٌ ... فهو يراها أبداً فى المنام !
كتب التطفيلُ فى وجهه : ... هذا حبيسٌ فى سبيل الطعام !

فى طلب الثّريد !!

أنشد على بن أبى على النضير عن أبيه لأبى الحارث الموصلى فى « طاهر الهاشمى » يهجوه بالتطفيل :

عَمْرو العُلَا ساد الورى ... بالجودِ والفعلِ الحميدِ
هشَمَ الثريدَ لقومه ... والنّاسُ فى ضُرٌّ شديد
وهشَمت أنتَ وجوه أهـ ... ـل الأرض فى طلب الثّريد
حتى ارتجعتَ ثريده ... وشرعتَ فى طلب المزيد
فلَوَ آنّ قوما يشترو ... ن الحَبّ فى جَبَلى زرود
لطرقتهم بضيائهم ... فى نارهم ذات الوقود
وإذا سمعت بثَردَةٍ ... أُلفِيت مِنْها بالوَصِيد

---

(١) لديه جهاز إنذار داخلى زُوّدبه يحدد له تماما وقت وضع المائدة ، يعترف بذلك كبير علماء التوقيت بطليموس ويشهد له بذلك والأصطرلاب : آلة يعرف بها الوقت .

(٢) وتراه على الموائد أسداً يزأر حنقا وغيظا يريد أن يفتك بألوان المطاعم على الخوان (المائدة) .

أطفلُ من ليلٍ على نهـار !!

وأنشد على بن أبى على عن أبيه لغيره :

أطفلُ من ليلٍ على نهـارِ   كأنه فى الدارِ رَبُّ الدار !

عـمّ يتخـلف الطفيلى ؟

وقال محمد بن سَلَمة : مات ليسار الوراق « بنت » فى يومٍ حارّ ، فلم يحضر إليه جيرانه ، وتخلفوا عنه إلا نُفَيراً ، حتى أبردوا ، وقد حُمِلَت ، فتبعه منهم قوم ؛ فلما انصرفوا قال :

تخلف عنى كل جافٍ ضرورة   وكل طُفَيْلىٍّ من القومِ عاجزُ
سَرِيعٌ إذا ما كان يومُ وليمةٍ   بطىء إذا ما كان حملُ الجنائز

يأكل زاد الورى كله :

وأنشد محمد بن الحسن بن عبيد الله البزار لعلى بن العباس بن جريج الرومى فى أكولٍ من الطفيليين :

يخـالف إخـوانه فى الطـريق   إلى أن تضمهـم المـائدة
فبينـا كـذاك إذا هُـمْ بـه   مع القـوم كالحيـةِ الراصـدة
يُليـنُ الطحـينَ على ضرسـه   ولو كـان من صخـرةٍ جـامدة
ويأكـل زاد الـورى كـلّه   ولكنهـا أكـلة واحـدة
فلـو عاينتـه جحيـم الإلـه   لخـرت لمعـدته سـاجدة !!

يأكل باليسرى واليمين معاً !!

وقال على بن المحسن التنوخى :

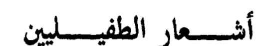
وجدت فى كتاب جدّى القاضى أبى القاسم على بن محمد بن أبى الفهم بن أبى العلاء قال :

أنشدنى إسحق بن محمد بن أبان النخعى لبعض البصريين فى طفيلىّ :

يمشـــى إلى الدعـــوة مســـتذفِراً مَشْـىَ أبى الحـارثِ ليـثِ العـرين
لـمْ ئـرَ عَيْنِـى آكـلاً مثـلَه يأكـل باليســرى معـاً واليمـين !
تجـول فى القصعـة أطرافُـه لعــب أخــى الشـطرنج بالشـاهين



الباب الثانى والعشرون



أشعار الطفيليين

- لسان الطفيلِى
- شكرى لمِنّة التطفيل !
- نحن قوم .
- عبيد البطون !
- شر الخلف .
- رسول نفسه .
- دعوت نفسى والشكر لى !
- جعلت فداك !
- نحن قوم نحسن الإقدام فى الزحام !

الباب الثانى والعشرون

فى أشعار الطفيليين

خوف لسانه :

● أنشد محمد بن على بن عبيد الله الكرخى لبعضهم :

سواءٌ عَلَيْهم قَدَّمُوا أو تأخَّروا　　يوافى مَعَ الطباخ ساعة يفرغ
فيُمْسِكُ مَنْ فى البَيْتِ خوفَ لِسَانِه　　ويَرْجع رَبُّ البيت مِن حَيث يبلغ

لانبالى !!

● وأنشد أيضا لآخر :

نحنُ قَوْمٌ إنْ جَفَانَا النّـا　　سُ وَصلْنَـا مَنْ جفانَـا
مانُبَالِى صَاحِب الدّارِ　　نسينا أو دعانا

شكرى لمِنّة التطفيل :

إنّ شُكْرِى لِمنّةِ التطفيـ　　ـل وأَيَادِيهِ مُنْذُ دهرٍ طَوِيلِ
كَمْ ترانِي قد نِلْتُ مِن لَذّةِ العيـ　　ـش بأسبابِهِ وحَظٍّ جَزِيلِ
وتمتعت مِنْ طعامٍ لذيذٍ　　وسَمَاعٍ فيه شِفَاءُ الغَلِيلِ
فإذا ما عرفتُ مجتمعَ الإخوا　　نِ فى بيتِ صاحبٍ أو خَليلِ
كانَ إتيانُه صَوَاباً على الأنـ　　ـسِ ولم أجتنب كفعل الثقِيلِ
وجعلت السَّعْىَ السبيل إلى ذاك　　ولم أنتظِر مجىء الرسولِ
فأبِنِ لى أين اجتماعكم اليو　　مَ إلى ذى سماحةٍ أو بخيلِ
فلَعلّى أكون لاأعرف الدا　　رَ فأحتالُ فى حُضُورِ الدليل

نحن قوم إذا دعينا أجبنا :

● وأنشد أبو يعلى يحيى بن الحسن المقرى لبعضهم :

نحنُ قومٌ إذا دُعينَا أَجَبْنَا فإذا نُنْسَى[1] يَدْعُنَا التطفيل
ونَقُلْ: عَلّنا دُعِينَا فَغِبْنَا وأتانا فلم يَجِدْنا الرسُولُ
نَصَرِّف القول نحوَ أجملِ فِعْلٍ مِثْلَمَا يَفْعَلُ الوَدود الوَصُولُ

عَبِيدُ البُطون !

● وأنشدَ محمد بن عبد الكريم الكرخى لآخر :

نحن عبيدُ البطونِ نأكُلُ مانُدْعَى إليه ولو إلى عَدَنِ
نأكُلُ ماجاءنا ولا بِسِيِّمَا إذا ظفِرنا بلا ثَمنِ

شر الخلف :

● وقال أحمد بن يحيى :

إنا وجدنا خَلَفاً شَرّ الخلَف وغدا إذا ماناء بالحِمْلِ خَضَفْ[2]
أغْلَق عنّا بابَه ثم حَلَف لايُدْخِلُ البوّابُ إلا من عَرَف

وروايةٌ أخرى للبيتين السابقين :

● وقال حماد بن إسحاق عن أبيه قال :

قال أعرابى ـ ودنا من وليمة رجل يُدْعَى خلَفاً فدفعه فى صدره ـ فقال : إنا وجدنا خلفنا شر الخلف .

....

وذكر الأبيات .

---

(١) وجاء فى بعض المصادر : ومتى نُنْسَى ..
(٢) خضف الطعام خضْفاً : أكله .

رســـول نفســـه :

● وأنشد محمد بن الحسن بن عبيد الله البزار لبعضهم :

ولَمَّا أن كتبت فلم تجبنى ولم تنظـر إلـىّ بعين أُنْس
رَأَيْــتُ الحــزْمَ أن أمضــى رِكَــابِي إلَيْكَ وأَنْ أكُونَ رَسُولَ نَفْسِــى

دعــوتُ نفســـى والشــكرُ لى :

● وقال أحمد بن الحسن المقرى :

أنشدنا « بنان » :

دَعَوْتُ نفسى حينَ لم تَدْعُني والشُّكْرُ لى ، لا لك فى الدعوة
فإن ذا أحسنُ من مَوْعِدٍ إخلافُه يدْنـي إلى الجفْــوة

جُعِـــلتُ فِــــداك !

● قال : وأنشــدنا بنــان :

أتــأذَنُ لى حيــنَ لادَعْــوَةٌ وتحجبُنى حينَ ذَبْح الجمـل ؟!
جُعِلتُ فِداك فماذا الجفـا ألَسْتُ طُفَيْلِيَّكُـمْ لَمْ أَزَلْ ؟!

نحن قوم نحسن الإقدام فى الزّحـام :

● قال : وأنشـدنا بنان أيضـا :

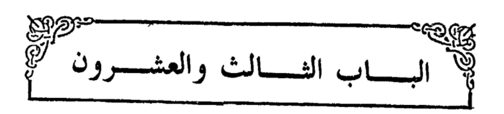
نحن قومٌ نُحسِنُ الإقـدام فى وقتِ الزّحــــام
هكـــذا فليكـــن التطفيـــــل تطفيـــــلَ الكِـــــرام

● قال : كان بنان من أكثر الطفيليين ذكراً وأبعدهم فى التطفيل ، وحدوده ، وسنته ما ليس لغيره ، وأخباره كثيرة ، وقد ذكرنا بعضها فيما تقدم .

الباب الثالث والعشرون

فى مُلَحٍ ونَوادِرَ طعامية

- الأكل فى السوق .
- الطعام والشراب .
- أطيب مأكل .
- أى أوقات الجوع أحسن ؟!
- نعم الغريم !
- شيئان لا تؤثر عليهما كثرة الإنفاق !
- كيف نشترى اللحم ؟
- أصحاب المِزاج الصفراوى !
- مؤاكلة الصديق ومؤاكلة البغيض.
- الأكل مع الثقيل !
- أقول فى الطعام .



الباب الثالث والعشرون

فى ملح ونوادر طعامية

الأكل فى السوق :

قالوا : الأكل فى السوق من الدناءة !

أى مما يحمله التجار فى الأسواق بحيث يصبح ذلك عادة له !

الطعام والشراب :

وكان يحيى بن خالد يقول : كُلّ من الطعامِ ماأردتَ ، واشرب من الشراب ماقُدّمَ لك .

أطيب مأكل !

وقيل لبعض الحكماء : أى الطعام أطيب ؟

فقال : ماأكل على الجوع !

وفى ذلك يقول الشاعر :

اجعلْ إدامَكَ طولَ جوعِك إنمّا يُهْدِى إليك الجوعُ أطيبَ مأكل

أى أوقاتِ الجوع أحسن ؟

وقيل لآخر :

أى أوقات الجوع أحسن ؟

فقال : أمّا للأغنياء ؛ فإذا اشتهوْا .

وأما للفقراء ؛ فإذا وجدوا .

نعـــم الغـــريم !!.

وكان يقال : نعم الغريمُ[1] الجوع ! ما ألقيت إليه شيئاً إلا فتَنْتَه !!

شيئان لا تؤثر عليهما كثرة الإنفــاق !!

وكان جعفرِ بن سليمان يقول : شيئان لا تَهدّهما كثرة النفقة : شمّ الطِّيبِ والقِدْر !!

كيـف يشـترى اللحـــم ؟

وكان بعض الحكماء يقول : ينبغي لمن أراد اشتراء اللّحمِ : أن يختار أجوده وأنظفه ! ويتأدبَ بأدبِ أصحابِ الكهفِ إذْ قالوا : **﴿فابعثوا أحدكم بوَرِقكم هذه إلى المدينة فلينظر أيها أزكى طعاماً فليأتكم برزق منه وليتلطف﴾**[2]

أصحاب المِـزاج الصفــراوى[3] !

وكان الحمـاز يقول : لا ينبغي للصفراوىّ أن يصابِرَ الجوعَ[4] ، ويحتَشِمُ من استدعاء الطعام إذا احتاج إليه ؛ بل يجب عليه أن يقتدى بكليم الله موسى ــ عليه السلام ــ فإن كان صفراوياً ، ومنها كانت الحدّة[5] التى كانت فيه !

ولما توجّه تلقاء مَدْين ، وجاع ، قال : **﴿ربِّ إنى لما أنزلت إلىّ من خير فقير﴾**[6]

---

(١) الغريم من له دين يتقاضاك إياه .

(٢) الكهف : ١٩ . وفيها من الأدب : التهيؤ للشراء بالبدل المالى الوَرِق (الفضة) ، والبحث والنظر لاختيار أزكى الأطعمة ، والتلطف فى المعاملة والطلب بعيدا عن الصخب والحلف والجدال ، والإحساس القلبى بأن ما تم شراؤه بأموالنا إنما هو رزق ساقه الله إلينا ومن حقه علينا أن نشكره .

(٣) المِزاج ــ بكسر الميم ــ استعداد جسمى عقلى خاص كان القدماء يعتقدون أنه ينشأ عن أن يتغلب فى الجسم أحد العناصر الأربعة وهى : (الدم ، والصفراء ، والسوداء ، والبلغم) ، ومن ثم كانوا يقولون بأربعة أمزجة هى : الدموىّ ، والصفراوىّ ، والسوداوىّ ، والبلغمى . أما المحدثون من علماء النفس ، فيوافقون القدماء على أن الأمزجة ترجع إلى مؤثرات جسمانية ، ولكنهم يخالفون فى عدد الأمزجة وأسمائها ؛ إذ يعتدون بالإفرازات التى تفرزها الغدد الصُمّ ، كالغدة الدرقية ، والغدة الكُلْويّة ، ويجعلونها المؤثرات الأساسية فى تكوين المزاج .

(٤) يصابر الجوع : يغالبه ، ولا يلبى نداءه .

(٥) الحِدّة : القوة . يقال : أخذته حدة الغضب ، وهو معروف بحدة التفكير . أى عمقه .

(٦) القصص : ٢٤ .

وقال مرة أخرى : ﴿آتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا﴾[1]

مؤاكلة الصديق ، ومؤاكلة البغيض :

وكان ميمون بن مهران يقول : مؤاكلةُ الصديق جِوارٌ بين مُتَحابَّين ، ومؤاكلة البغيض تُخَمة !!

الأكـــل مع الثقيـــل :

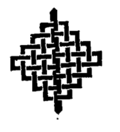
وكان حمدون يقول : ماأكلت مع ثقيل قطُّ إلا ذكرت قوله تعالى : ﴿وطعاماً ذا غُصَّة﴾[2]

أقوال فى الطعـام :

● وقال الثعالبى فى المبهج : لا يطيب حضور الخوان إلا مع الإخوان[3] .

● وقال فيه : البخلُ بالطعام من أخلاق اللئام !

● وكان يقال : كُل من الطعام ماتشتهيه نفسك ، والبس من اللباس مايشتهيه الناس !



(١) الكهف : ٦٢ .

(٢) المزّمّل : ١٣ .

(٣) الخوان بكسر الخاء وضمها ما يؤكل عليه (المائدة) .

الباب الرابع والعشرون

فى شىء من نكت الحكماء والأطباء فى الإقلال من الطعام

البـــاب الرابـــع والعشـــرون

فى شىء من نكت الحكماء والأطباء فى الإقلال من الطعام

أقـــوال حكيمـــة :

قالت العرب : أقلل من طعامك يحمد منامك . ربّ أكلة تمنع أكْلات ! البطْنة تذهب الفطنة

من وصايا لقمان لابنه :

قال : يا بنى ! ماتلقيه من الأكل خير مما تأكله على الشّبع !

وصية لأرســـطاطاليس :

العاقل يريد الأكل للحياة ، والجاهل يريد الأكل لِلْمَمَات .

وأخـــرى لجالينـــوس :

العاقل من يترك مايُحَبّ ؛ ليستغنى عن العلاج بما يَكْره ، والصبر على الامتناع عما تشتهى أهون من أكل ماتشتهى .

ما نأكـــله ، وما يأكلنـــا !!

ابن ماموية : إنما تأكل ما تستمرئه ، ومالا تستمرئه هو الذى يأكلك .

أضَـرّ شـــىء على الشـــيخ :

ثابت بن قرة : ليس شىء أضرَّ على الشيخ من أن يكون الطباخ حاذقا ، وجارية حسناء ! ؛ لأنه يستكثر من الطعام فيسقم ! ومن النكاح فيهرم !

راحـــة البـدن وراحـــة اللســان :

وقال بعض الحكماء : راحة البدن فى قلة الطعام ، وراحة اللسان فى قلة الكلام .

سـؤال عن مقـدار مايؤكل :

وسأل رجل حكيما كم آكل ؟

فقال : فوق الجوع ، ودون الشّبع !

أحسـن ما جاء من الشعر فى الإقلال من الأكل والشرب :

● وأحسن ما سمعت فى الشعر فى هذا المعنى قول منصور الفقيه :

أَقْلِلْ ــ فديتُك ــ إن أكلتَ وإن شربت وإن عَنيتَــا
وأنـا الكفيــلُ إذا فعــلتَ بأن تُعَافَـى ماْبقيتَــا

● وأحسن منه قول أبى بكر العلّاف النهروانى من قصيدة له :

لا باركَ الله فى الطّعــامِ إذا كان هلاكُ النفوسِ فى المِعَدِ
كـم دخلَـتْ أكـلةٌ حَشَـا شَرِهٍ فأخرجَــتْ رُوحَــهُ من الجَسَـدِ

● ومن أحاسن مُلَح الجاحظ :

ومن أحاسن مُلَح الجاحظ ما كتبه إلى صديق له ، اشتكى من تُخَمة :

يا قتيلَ بُرّه ، وصريع حياته ، أفادك الله العافية ، وألبسك الصحة !

قد كنتَ قبل اليوم لتُحمَدُ بقِلّةِ الأكل ، وتدعى الحكمة بترك الطعام ، وكنتَ من الضابطين لأنفسهم ، المالكين لشهوتهم ، الذين لا يريدون الغِذَاء إلا قِواماً لعقولهم ، ولا القوتَ إلا مُسْكة لأزماتهم ، حرصاً على الحكمة ، وطلبا لثناء الرتبة ، ولا تزال تنشد :

يكفيه حزة فلذاتِ ألمّ بها من الشواءِ ، ويكفى شربه العنبر

فخدعتنا بقولك ، ونحن نرى جسمك ، ونعاين جثتك ، ونعلم أنه ليس بجسم حكيم ، ولا بدن فيلسوف ، وتتعجب من ذلك حتى أبدى لنا الدهر عن سرك ، وكشفت الفطنة فى أمرك بمرضك من التخمة ، وقد حضرنى شعر فأقرؤه عليك .

سِرُّ الصّـديقِ من العبـادةْ شَـرَةٌ تناهَــى فى الزّيــادَةْ

لو كـان أكـلا مُرْسَـلاً ، لكنت أعْلَم من قتادَه
أو وارث العلـم الكثيـر لكنتَ من أهـلِ السيادة

لحـم يأكـل لحمـا !!

ورأى المسيح ـ عليه السلام ـ رجلاً يأكل اللحم فقال : لحمٌ يأكل لحمـا !! أفٍّ لهذا فعـلا !!

إياكـم وهـذه !!

وكان عمر ـ رضى الله عنه ـ يقول : إياكم وهذه (....)[1] ؛ فإن لها ضراوات كضراوات الخمر !!

مدمـن اللحـم :

وكان يقال : مُدمن اللحم كمدمن الخمر ، ومدمن الخمر كعابد الوثن .

البَطِنِ والزَّمِـن :

وكان بعض الحكماء يقول : إذا كنت بَطِناً ، فعُدّ نفَسـك زَمِناً .

أجمـل العـادات !

وقال آخـر :

- عوّد نفسَك النزاهةَ ، ومجاهدَةَ الهوى والشهوة .
- ولا تنهش نهش الكلاب والسباع .
- ولا تختضم خَضْم البراذين .
- ولا تُدمن الأكل إدمانَ النّعاج !
- ولا تلتقم لَقْمَ الجِمـال !

إن الله تعالى جعلك إنسانا وفضّلك ؛ فلا تجعل نفسك بهيمة ولا سَبعاً !!

---

(١) فراغ بالمخطوطة : ولعل المشار إليه : اللحم ، أو البطن ؛ فإن ذلك أنسب للمقام .

إلام تدعـو التخمـة ؟!

● وقال بعضهم : اعلم أن التُّخَمةَ داعية السقم ، وأن السقم داعية الموت !

ومن مات هذه الموتة فقد مات موتةً لئيمةً ، وهو مع قاتل نفسه ! وقاتل نفسِه ألْوَمُ من قاتِل غيرِه !!

هيهات لذى البِطنة أن يخشـع !!

● وقال آخر : ماأدى حق الركوع والسجود ذو كِظّة . ولا خشع لله ذو بطنة .

لأمرٍ مَّا طالت أعمارهم ، وصحت أبدانهم !!

● وقال آخر :

لأمرٍ مَّا طالت أعمارُ الهند ، وصحّت أبدان العرب

مع الحـارث بن كلـدة :

ولله دَرّ الحارث بن كلدة حيث قال : إن الداء هرم لازم . والداء هو إدخال الطعام إثْر الطعام !

يا بنـى !

● لم ضعفت أذهان الأعراب ، وصحت أبدان الرّهبان ، مع طول الإقامة فى الصوامع ؟!

وقال آخر :

● لم جعل الرسول ﷺ الصومَ له وِجَاء إلا ليحمله حجاباً له دون الشهوات ، وذلك تأديب الله عز وجل .

● ● ● ●

انتهى الكتاب بحمد الله تعالى وعونه
وحسن توفيقه ، والحمد لله تعالى
وحده ، وصلى الله على سيدنا
محمد وعلى آله وصحبه
تسليما كثيرا إلى
يوم الدين

فهرس الكتاب

الموضـوع | الصفحة

رقم الايداع ٣٨٧٥ — ٨٩

مكتبة ابن سينا

للنشر والتوزيع والتصدير

٧٦ شارع محمد فريد - جامع الفتح - النزهة
مصر الجديدة القاهرة ت ٢٤٧٩٨٦٣ / ٢٤٨٠٤٨٣

